الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الوادي

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم: العلوم الإنسانية

شعبة: التاريخ العام

الحياة الثقافية في المغرب الأوسط خلال العهد الحفصي 624هـ- 982هـ/1228م- 1574م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ العام.

إعداد الطلبة:

- ✓ ثرية حميداتو
- ✓ زينب زايد
- ✓ سمية زايد
- ✓ صبرينة علية
- ✓ عبد القادر مسعي عون
- ✓ عبد الكامل سواكر
- ✓ فردوس شلبي
- ✓ مريم حنكة
- ✓ مصعب حميداتو
- ✓ هناء بقاص

إشراف الأستاذ:

علال بن عمر

لجنة القراءة والمناقشة:

- .....
- .....
- .....

الموسم الجامعي: 1434- 1435 هـ / 2013- 2014م.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الوادي

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم: العلوم الإنسانية

شعبة: التاريخ العام

الحياة الثقافية في المغرب الأوسط خلال العهد الحفصي 624هـ- 982هـ/1228م- 1574م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ العام.

إعداد الطلبة:

- ✓ ثرية حميداتو
- ✓ زينب زايد
- ✓ سمية زايد
- ✓ صبرينة علية
- ✓ عبد القادر مسعي عون
- ✓ عبد الكامل سواكر
- ✓ فردوس شلبي
- ✓ مريم حنكة
- ✓ مصعب حميداتو
- ✓ هناء بقاص

إشراف الأستاذ:

علال بن عمر

لجنة القراءة والمناقشة:

- .....
- .....
- .....

الموسم الجامعي: 1434- 1435 هـ / 2013- 2014م.

بسم الله الرحمن الرحيم

دعـــاء

اللـهم.....

لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا ولا باليأس إذا خفقنا وذكرنا أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح، اللهم إذا أعطيتنا فلا تأخذ منا تواضعنا وإذا أعطيتنا تواضعنا فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا.

اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا وزدنا علما.

اللهم إنا نسألك علما نافعا ورزقا طيبا وعملا متقنا.

اللهم بنورك اهتدينا، وبفضلك استغنينا، وفي كنفك أصبحنا وأمسينا، أنت الأول فلا شيء قبلك و أنت الآخر فلا شيء بعدك، رب هب لنا حكما وألحقنا بالصالحين واجعل لنا لسان صدق في الآخرين.

واجعلنا من ورثة جنة النعيم.

اللهم اجعل أول يومنا فلاحا وأوسطه صلاحا وآخره نجاحا.

شكر وعرفان

أول ما نفتتح به هو التوجه بالشكر لله الذي أنعم علينا بنعمة العلم وألهمنا إلى ما فيه الخير والفلاح طيلة مشوارنا الدراسي إلى من هدانا إلى سبل الرشا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبعد:

نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف **علال بن عمر** الذي نبالغ إذا قلنا أننا محظوظين برعايته خلال فترة إنجاز هذا العمل ... فكان المعلم ... الناصح ... الراشد إذ كان شرفا كبيرا لنا كوننا تمكنا من الاستفادة من تعاليمه المثمرة وتوجيهاته الخاصة متمنين له السعادة والهناء وبلوغ المبتغى ووصوله الدرجات العلى.

كما نحيل الشكر إلى الأستاذ الفاضل **محمد حناي** على كل النصائح التي قدمها لنا والمجهود الذي بذله في تشجيعنا على العمل وتوجيهه لنا.

كما لا يفوتنا أن نشكر كافة أساتذة قسم التاريخ ونخص بالذكر: **محمد السعيد عقيب والسعيد عقبة وعبد الكريم فايزي** نقول لهم دمتم ذخرا لخدمة العلم وشكرا على مساعداتكم ونصائحكم.

والشكر لكل من مد لنا يد العون والمساعدة من ببعيد أو قريب.

مقدمة

إن المتتبع لتاريخ الدولة الحفصية والدراسات التي تناولتها يجد أن معظم الدارسين سلطوا الضوء على حاضرة افريقية تونس باعتبار العاصمة هي مركز الاشعاع الحضاري، وقد أدى ذلك إلى إهمال الضواحي، فقد تناولت معظم الدراسات تاريخ الحفصيين وآثارهم الحضارية العاصمة تونس وضواحيها، بينما بقيت الأقاليم الأخرى خاصة منها الغربية والجنوبية على هامش تلك الدراسات وعلى اعتبار امتداد الدولة الحفصية إلى المغرب الأوسط الشرقي وهو ما يعرف بالجزائر الحفصية والذي يُقصد بها الإقليم الغربي للدولة الحفصية أو ما يعرف حاليا بمدن الشرق الجزائري، والتي كانت في تلك الفترة خاضعة لسلطة الحفصيين بتونس فإننا أردنا أن نخص هذا الاقليم بالدراسة ونتناول جانبا مهما من جوانبه الحضارية المتمثل في الجانب الثقافي من خلال معرفة دور هذا الاقليم في الحياة الثقافية بالدولة الحفصية ومدى إشعاعه الحضاري على المغرب الاسلامي بأسره وكان موضوع المذكرة كالتالي: الحياة الثقافية في المغرب الأوسط خلال العهد الحفصي

دوافع اختيار الموضوع :

ومما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع الرغبة الشديدة في الاطلاع على التاريخ الثقافي للمغرب الأوسط خلال العهد الحفصي، خاصة أن الدراسات في هذا العهد قليلة وتعلقت في معظمها بحاضرة افريقية وتونس ولم تتناول هذا الاقليم إلا في السياق العام كما اهتمت أكثر بالجانب السياسي والعسكري وأهملت الجانب الثقافي ولهذا ارتأينا تسليط جانب من الضوء على مظاهر الإشعال الثقافي والحضاري في بجاية وقسنطينة وعنابة خلال العهد الحفصي وذلك لإثراء معارفنا وإزالة الغموض عن الحياة الثقافية والعلمية

طرح الاشكالية :

إن الاشكالية التي أردنا الاجابة عليها من خلال إنجازنا لهذه المذكرة هي مكانة إقليم المغرب الأوسط الحفصي في الحضارة الحفصية خصوصا وفي حضارة المغرب الاسلامي عموما ومدى إسهامه في المجال الثقافي. وتندرج من هذه الاشكالية عدة إشكاليات جزئية:

- هل كان للمغرب الأوسط الحفصي دور في الحياة الثقافية للدولة الحفصية؟

- هل كان لهذا الاقليم إشعاع ثقافي مثلما كان لحاضرة تونس خاصة ونحن على علم بموقعه المتوسط بين المغربين الأدنى والأقصى؟.

- هل ظهر بهذا الاقليم علماء وكانت لهم إسهامات في المجال الثقافي وهل لعبوا دورا في التواصل الثقافي بين المغربين ؟

المنهج المتبع :

لقد إعتمدنا في إنجاز هذا الموضوع على المنهج التاريخي الذي يتناسب مع سرد الأحداث والوقائع التاريخية وانتقاء المادة العلمية من مصادرها الأصلية.

صعوبات الموضوع :

من بين الصعوبات التي واجهتنا في دراسة بحثنا هذا ندرة المادة العلمية التي تتناول الموضوع بشيء من التوسع والتعمق إلا القليل منها وكذا اعتماد جل المصادر والمراجع على دراسة الجانب السياسي وإهمال الجانب الثقافي إضافة إلى عدم قدرتنا على تناول المراجع الأجنبية التي قد تضيف الكثير إلى دراستنا.

الخطة المتبعة :

احتوت هذه المذكرة على مقدمة وفصل تمهيدي وثلاث فصول وخاتمة بحيث شملت تضمن المدخل التمهيدي: أصل الحفصيين ونسبهم ولمحة تاريخية عن قيام الدولة الحفصية ونظام حكمها، كما درسنا فيه الجانب الثقافي للدولة الحفصية ثم قسمنا صلب الموضوع إلى ثلاثة فصول الأول بعنوان: عوامل تطور الحركة العلمية بالمغرب الأوسط بحيث احتوى على ثلاث مباحث: الأول اهتمام السلاطين بالحركة العلمية الثقافية, والثاني الحركة الصوفية, والثالث دور الرحلات في الحركة العلمية.

أما الفصل الثاني فقد تضمن مظاهر الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط وانقسم إلى مبحثين, المبحث الأول المؤسسات التعليمية والمبحث الثاني الوراقة ونسخ الكتب وبالنسبة للفصل الثالث فقد درسنا فيه التعليم والعلوم بالمغرب الأوسط وأنهينا الموضوع بخاتمة تتضمن مجموعة من الاستنتاجات المستخلصة من دراسة هذا الموضوع وأرفقنا الموضوع بمجموعة من الملاحق صورت لنا جانبا من الحياة الثقافية للدولة الحفصية.

أهم المصادر :

لقد اعتمدنا في بحثنا على عدة مصادر من بينها الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لابن القنفذ القسنطيني (810هـ/1408م) الذي أفادنا في الحركة العلمية والثقافية بقسنطينة ومن كتبه أيضا الوفيات وأنس الفقير اللذين اعتمدنا عنهما في تراجم العديد من العلماء, وكتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية للغبريني والذي ترجم فيه العديد من العلماء ببجاية والذي ترجم فيه العديد من علماء بجاية سواء الذين استوطنوا ببجاية أو الوافدين إليها لكنه في بعض الأحيان لا يعطي لنا تاريخ وفات بعضها, وكتاب تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية للزركشي ,وكتاب الرحلة

المغربية للعبدري الذي إستفدنا من رحلته العلمية, وكما إعتمدنا على عدة مراجع نذكر منها محمد العروسي المطوي في كتابه السلطنة الحفصية, وعبد العزيز الفيلالي الذي إعتمدنا على كتابيه مدينة قسنطينة في العصر الوسيط , ومدينة قسنطينة (دراسة التطور التاريخي والسياسي).

المدخل التمهيدي

لمحة تاريخية عن الدولة الحفصية.

1- أصل الحفصيين ونسبهم.

2- قيام الدولة الحفصية.

3- الإطار الجغرافي.

4- نظام الحكم.

5- مكانة المغرب الأوسط عند سلاطين بني حفص.

6- الحياة الثقافية في دولة بني حفص.

لمحة تاريخية عن الدولة الحفصية:

1- أصل الحفصيين ونسبهم:

اختلف المؤرخون في أصل الحفصيين ونسبهم، فمنهم من أرجعه إلى البربر وتحديدا إلى قبيلة هنتاتة وهي من أعظم قبائل المصامدة الذين هم أكثر قبائل البربر ودولتهم شعبة من دولة الموحدين، وكان الشيخ أبو حفص عمر بن يحي جد الحفصيين أحد القائمين بدولة الإمام المهدي والخليفة عبد المؤمن، وكان يرفع نسبه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو ما ذهب إليه المسعودي وذكر أن نسبه عمر ابن يحي بن محمد بن وانودين بن علي بن أحمد بن ولان بن إدريس بن خالد بن اليسع بن إلياس بن عمر بن وافتن ابن محمد بن نجية بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.[1]

وبفضل انتساب الحفصيين إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بزواج النبي من حفصة بنت عمر رضي الله عنه، استطاعوا أن يكسبوا حكمهم صبغة شرعية.[2]

2- قيام الدولة الحفصية:

أ تأسيس الدولة الحفصية وانفصالها على الموحدين:

عندما انتصر عبد الواحد بن أبي حفص على يحي بن غانية في معركة تاجراء المشهورة ازدادت قيمته عند سلطان الموحدين الناصر بن منصور (544هـ-595هـ/1147م- 1197م) لهذا أراد الناصر الموحدي اختيار والي جديد على إفريقية فلم

[1]- محمد العروسي المطوي: السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي،، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986م، ص56، 57.

[2]- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي الديني، الثقافي الاجتماعي، دار الجبل، مكتبة النهضة المصرية، لبنان، القاهرة، 2009م، ج4، ص302.

ير من هو أولى بذلك من عبد الواحد بن أبي حفص، على الرغم من عدم رغبة هذا الأخير في تلك الولاية، فقد قام الناصر بعدة مشاورات بخصوص ولاية إفريقية فكان إجماع شيوخ الموحدين على أن يتولاها عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي،[1] ولهذا لما عزم السلطان الناصر على الانصراف من تونس، نظر أن يخلف عليها الشيخ عبد الواحد فامتنع فكلفه بذلك وذلك في (603هـ- 618هـ/ 1204م- 1219م)،[2] وأثار بها الآفاق الإفريقية وحرك لانتشار كلمتها الملك أبا عبد الواحد ابن الشيخ المقدس المجاهد أبي حفص، فنشر ذكرها، وأظهر أمرها وخلفه ابنه أبو زكرياء (625هـ- 647هـ/ 1228م- 1249م) فوسع رقعتها.[3]

ويعود تاريخ الانفصال الرسمي عن الموحدين بالنسبة للحفصيين إلى سنة (625هـ/1228م)، على يد أبي زكرياء، إلا أنه أخذ يستعد لفك الارتباط مع مراكش والانفصال عن السلطة الموحدية.[4]

ومن أسباب الانفصال ترجع إلى الوهن الذي أصاب سلطنة الموحدين حتى نجمت فيها الفتن الداخلية والثورات والاضطرابات[5] ، وهناك سبب آخر وهو قتل الخليفة الموحدي إدريس للموحدين بمراكش وخصوصا من هنتاته التي تعد قبيلة الحفصيين.[6]

---

[1]- محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص129.

[2]- أبو عبد الله محمد الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح وتع: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ص164.

[3]- أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني المعروف بابن القنفذ: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تق وتح: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م، ص108.

[4]- محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص115.

[5]- محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص116.

[6]- عبد الرحمان بن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006م، ج6، ص 335.

ب امتداد رقعة الدولة الحفصية إلى المغرب الأوسط الشرقي:

عندما أعلن أبو زكريا الحفصي انفصاله عن الخلافة الموحدية كان عليه أن يستجيب لمطامحه في بناء دولة مستقلة جديدة، وكان أول عمل قام به هو استرجاع حدود إفريقية إلى ما كانت عليه في عهد الدولة الصنهاجية الموحدة،[1] ولهذا توجه إلى قسنطينة وحاصرها سنة 628هـ/1231م حتى استلمت له،[2] وبعدها اتجه إلى بجاية وقبض على واليها الموحدي أبا عمرات شقيق والي قسنطينة السابق، وبهذا أصبحت بجاية تحت السلطة الحفصية.[3]

عندما أعلن أبو زكريا الحفصي عن انفصاله عن الخلافة الموحدية كان في عز شبابه في سن27 وكان عليه ان يستجيب لمطامحه في بناء الدولة مستقلة جديدة، وكان أول عمل قام به هو استرجاع حدود افريقية الى ما كانت عليه في عهد الدولة الصنهاجة الموحدة ولهذا توجه الى قسنطينة ونصابها الحصار مدة حتى استسلمت له وقبض على وليها الموحدي أبي عمران شقيق والي قسنطينة السابق[4]، وحين تمكن ابو زكريا من مد سلطانه ونفوذه شرقا الى ما بعد مدينة طرابلس وأن يتمكن من استيلاء على قسنطينة سنة628هـ /1231م وتوسع بذلك رقعة دولته الى أن تعدت الاسوار الغربية لمدينة بجاية، لأن الدولة الزيانية لم تستطع أن توفر لنفسها المجال الجغرافي لأمنها وحماية حدودها[5].

[1]– محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص129.

[2]– أبو عبد الله محمد الزركشي: المرجع السابق، ص25.

[3]– محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص130.

[4]– محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص29.

[5]– عبد العزيز فيلالي: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط (دراسة سياسية عمرانية ثقافية)، دار البعث، قسنطينة، 2002م، ص 53.

وفي سنة 683هـ/1383م تمكن الأمير أبو زكريا من الأمير أبي اسحاق من الاستيلاء على مدينة بجاية وأن يستقل بها عن السلطة المركزية استطاع أن يسير في الرغبة سيرة حسنة فأحبته واجبته وإلتفت حوله لتواضعه وورعه وبساطة حياته فكانت له اعمال خيرية صحيحة ومنشآت عمرانية.[1]

أما بالنسبة لمدينة بونة فقد ارتبطت بالدولة الحفصية منذ سنة 628هـ/123م عين عليها الامير ابي زكريا ابن عمه ابا علي ابن موسى وكان في بداية حكمه.[2]

وفي سنة 636هـ/ 1239 اتصل أبو زكريا بابن عمه فنقله من ولاية عنابة الى ولاية المهدية ،وجعل عنابة تابعة لبجاية ، وهو ما جعل ابن القنفذ يعلق على ذلك بقوله: (فأضاف الي سلطة ابنه أبو زكريا النضر في سائر أعمال بجاية والجزائر وقسنطينة وبونة والزاب)[3]

فالنص الذي أورده ابن القنفذ يأكد لنا على أنا عنابة وغيرها من الأراضي الجزائرية التابعة للدولة الحفصة أصبحت شبه مستقلة تحت اشراف أبي زكريا الذي اتخذ مدينة بجاية مقرا له[4], وبذلك اقتطع جزء كبير من الشرق الجزائر وسارت هذه المنطقة تتبع الدولة الحفصية إداريا وسياسيا التي تشمل على بجاية وعنابة تدور في فلكها وتسير تحت نفوذها[5]

[1]– عبد العزيز فيلالي: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط (دراسة سياسية عمرانية ثقافية)، ص62.

[2]– حساني مختار: الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، دار الهدى، الجزائر، 2011م، ج1، ص27.

[3]– ابن القنفذ: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص67.

[4]– حساني مختار: الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، ص27.

[5]– عبد العزيز فلالي: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط (دراسة سياسية عمرانية ثقافية)، ص54.

3- الإطار الجغرافي:

تعد الدولة الحفصية من أهم الدول التي قامت في بلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، وتمتد حدودها من مدينة الجزائر غربًا إلى عقبة برقة التي تفصل طرابلس عن برقة، هذا حدها الشرق الأقصى، ويحدها البحر من الشمال، ومن الجنوب أقاصي بلاد الجريد[1]وقد احتلت كل من تونس وبجاية مكانة هامة داخل الدولة، فكانت تونس عاصمتها السياسية وهي تقع في سفح جبل يعرف بجبل أم عمرو ويدور بمدينتها خندق حصين ولها خمسة أبواب، باب الجزيرة القبلي ينسب إلى جزيرة شريك، ويخرج منه إلى القيروان ويقابله جبل التوبة،[2] فتونس إذا هي أقصى الدولة الحفصية من جهة الشرق، وتضم البلاد التي كانت تسمى إفريقية.[3]

أما عن بجاية فهي عاصمتها الثقافية فهي مدينة حصينة تقع في سفح جبل وعر، مقطوعة بنهر وبحر، وهي مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب.[4]

4- نظام الحكم:

إذا كانت الدولة الحفصية في سنواتها الأولى بنيت على الإمامة وكلمة التوحيد، فإنها لا تقل تمسكا بمبدأ الوراثة عن الدولة الموحدية نفسها وهي الدولة الأم، فمعنى هذا أن الحفصية مطالبة بنفس المبادئ التي أقرها إمام الموحدين محمد بن تومرت، إلا أن هذه الفلسفة نالها التحريف عند الحفصيين، فقد كتب أبو زكريا الحفصي إلى ولي عهده الذي

---

[1]- ألفرد بيل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر: عبد الرحمان بدوي، ط2، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1981م، ص297.

[2]- شهاب الدين ابن عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، مج2، دار صادرة، بيروت، ص60.

[3]- مرمول كرنبال: إفريقيا، تر: عمد حجي، معجم البلدان، 1984م، ص35.

[4]- أبو عبد الله محمد بن محمد البلنسي العبدري: الرحلة المغربية، تح: أحمد بن جدو، مطبعة البعث، قسنطينة، ص23.

اختاره وصيته المشهورة وكأنها إشارة واضحة عنده أن هذا الذي اختاره ليكون خليفته في إمارة إفريقية، وكانت أهم بنود تلك الوصية دعوة أبي زكرياء ابنه إلى الإقدام على ما يرضى الله، وكما دعاه إلى التحلي بصفات التربية ورباطة الجأش، وطلب منه أن يحسن إلى رجال جيشه، ثم ينهي أبو زكريا الحفصي وصيته إلى ابنه بأن لا يغتر بالدنيا وأن يلزم القناعة، وكانت الوصية في أول الأمر موجهة لأبي زكرياء يحي فلما توفي وأصبح ولي العهد أبو عبد الله محمد أصبحت موجهة له.[1]

ولقد انتهج الحفصيون نظام المشايخ مثل الموحدين وكان أهم المشايخ يساهمون في مجلس الشورى، وبهذا فقد كانت حكومة الدولة الحفصية مستقلة تماما تحت رعاية السلطان.[2]

- سياسة الولاة الحفصيين في المغرب الأوسط :

عمل بنو حفص على تنظيم دولتهم وتقسيمها الى عدة اقاليم وكور إدارية وعينوا على رأس كل كورة واليا أو عامل، من الاسرة الحاكمة يسمى نائب السلطان، وتعتبر مدن المغرب الأوسط الشرقي (قسنطينة، عنابة، بجاية) من بين هذه الأقاليم.[3] كما تعد مدينة قسنطينة القاعدة الحفصية الثانية بعد مدينة تونس[4]، بحيث كان يعين على رأس ادارتها والي للعهد أو أمير حفصي مؤهل يتميز بخبرة سياسية وعسكرية وإدارية عالية ويتمتع بثقة كبيرة من السلطان مثال على ذلك السلطان أبو يحي خالد ابن الأمير أبي زكريا، يعرف أهل المدينة بالعين والاسم ويسأل دائما على أحوالهم ويجري على فقرائهم، والصدقات والجاريات، وقد حبس على المسجدين بالمدينة (القصبة، الكبير)، وولى أبنائه على

[1]- محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص 166. 168.

[2]- الفرد بيل: المرجع السابق، ص300.

[3]- ابن القنفذ: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص73.

[4]- المصدر نفسه، ص86.

الولايات والاقاليم فعين ابنه أبو زكريا على بجاية وابنه الفضل على عنابة، وأبو عبد الله محمد على قسنطينة الذي يتسم بالذكاء والفطنة والعلم، وولد بمدينة قسنطينة وترعرع بين أسوارها.[1]

فبالنسبة لأمراء قسنطينة وبونة كثيرا ما يسببون متاعب للسلطة المركزية بتونس بخروجهم عن الطاعة وعن انفصالهم عن الدولة حينا وتدخلهم في شؤون السلطان أحيانا، حتى اصبحوا يعينون ما يشاؤون أو يطيحون بما يشاؤون وكانت السلطة المركزية كثيرا ما تستنجد بقسنطينة إذ حلت بها نائبة أو داهمها خطر خارجي أو خرج عليها ثائر.[2]

وقد كانت علاقة بجاية بالسلطة المركزية بتونس علاقة ولاء وتبعية، حيث توالى عليها ولاة من العائلة الحفصية منهم ابنه زكريا الذي عين سنة 627هـ/1229م، ثم خلفه أبو يحي زكريا(ت646هـ/1248م).[3]

5- مكانة المغرب الأوسط عند سلاطين بني حفص:

كانت مدينة قسنطينة عاصمة لاحدى المقاطعات التابعة للحفصيين بعد مدينة تونس والعمق الاستراتيجي للسلطة المركزية, حيث كان يعين عليها أمير حفصي من الأمراء الذين يتمتعون، بثقة واسعة لدى السلطان، ومن الذين لديهم وزن في الدولة، لمكانة قسنطينة وأهميتها كعاصمة ثابتة لبني حفص،[4] ويذكر ابن خلدون في كتابه العبر خروج أبو زكرياء من تونس من جهة إلى بجاية ومن جهة أخرى إلى قسنطينة لاطلاع على

[1]- عبد العزيز فيلالي: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط (دراسة سياسية عمرانية ثقافية)، ص63.

[2]- عبد العزيز فيلالي، محمد الهادي لعروق: مدينة قسنطينة (دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية)، دار البعث، ط1، 1984م، ص69.

[3]- عبد الرحمان بن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، ص 596.

[4]- عبد العزيز فيلالي، محمد الهادي لعروق: مدينة قسنطينة (دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية)، ص68.

أحوالها[1], و أنه كان يؤثر على غيرهم ولا يفضل غيرهم عليهم حسب تعبير ابن القنفذ وكان الأمير يستقبل الزوار والوفود من المدينتين في آن واحد، ويكرم جلوسهم ويجاورهم في أمور كثيرة.[2]

وبذلك ازدهرت من المغرب الأوسط ازدهارا كبيرا عند أمراء بني حفص ومنهم فضل الإقامة بقسنطينة واتخذوا مقرا أمن لهم بحصانتها الطبيعية ومناخها المعتدل فعظمت بهم وعظم شأنهم بها لهذا نزح إليها الناس من كل مكان واتسع عمرانها بحيث كثرت المساكن والمنازل والمدارس والكتاتيب وشيدت بها الحمامات والفنادق والأسواق حيث أصبحت تضاهي الحواضر المغربية الكبيرة.[3]

6- الحياة الثقافية في دولة بني حفص:

أ- العوامل المساعدة على الحياة الثقافية:

لقد اهتم سلاطين الدولة الحفصية بالجانب الثقافي وأولوه العناية الكاملة، فازدهرت العلوم والفنون بفضل تشجيعهم وترغيبهم لرجال الفكر والفن،[4] فهذا الأمر أدى بالعديد من طلاب العلم وغيرهم إلى الاقبال لطلب العلم فازدهرت الثقافة وانتعش الأدب،[5] ولقد ساهم في تلك النهضة بقسط وافر مهاجروا الأندلس الذين كانوا محل اهتمام الولاة في الدولة الحفصية، للاستفادة من الخبرات الأندلسية في شتى المجالات المختلفة،[6] وذلك بعد أن

[1]- ابن خلدون: : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، ص 654.

[2]- ابن القنفذ: الفارسية ، ص59.

[3]- ابن القنفذ: الفارسية، ص65.

[4]- عبد العزيز الدولاتي: مدينة تونس في العهد الحفصي، تح: محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتي، ط1، دار سواس للنشر، تونس، 1981م، ص84.

[5]- أحمد بن عامر: الدولة الحفصية صفحات خالدة من تاريخنا المجيد، الكتب الشرقية، تونس، ص67.

[6]- محمد عادل عبد العزيز: الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية، دار الغريب، القاهرة، 2006م، ص222.

فتح أبو زكرياء أبواب مدنه للمهاجرين منهم، ولقد اهتم السلطان الحفصي أبو زكرياء الأول (625هـ- 647هـ/1228م- 1249م) بالعلم والعلماء والفقهاء، ومن بينهم أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار المتوسي المليانى وهو عالم العربية والفقه وأصول الدين.[1]

ب- المؤسسات الثقافية بالدولة الحفصية:

- **المساجد:**

قام أبو زكرياء ببناء القصبة (629هـ- 1229م) وصومعته الجميلة في تونس،[2]وينسب إلى المستنصر بناء جامع باب الدرب بالمنستير،[3] حيث قام المستنصر (647هـ- 675هـ/1249م- 1276م) بترميم وإعادة بناء جامع الزيتونة وغيره من المساجد،[4] وقد كثرت الجوامع في مدينة تونس كما وصف الوازن جامع الزيتونة يقوله:« بمدينة تونس جامع كبير في غاية الجمال والسعة، كثير المستخدمين عظيم الموارد وجوامع أخرى في المدينة والأرياف أقل أهمية من الجامع الكبير».[5]

[1]- أبو العباس أحمد بن عبد الله الغبريني: عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ط2،دار الآفاق، بيروت، 1979م، ص ص171، 172.

[2]- ابن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح: لجنة من كتابة الدولة للشؤون والثقافة والأخبار، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976م، ص183.

[3]- عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2008م، ص791.

[4]- ابن أبي الدينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1882م، ص 130.

[5]- الحسن الوازن الفاسي: وصف إفريقية، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ج2، ص76.

- **المدارس:**

شهد عصر أبي زكرياء (625هـ- 647هـ/1228م- 1249م) مدرستان ماثلتان إلى اليوم[1] والمدرسة الثالثة التي أقيمت بالأسواق،[2] وكان من إنجازات أبي زكرياء بناؤه للمدرسة الشماعية الواقعة قرب سوق الشماعي،[3] هذه المدرسة التي زارها الراحلون فاستفادوا منها علما ومعرفة ووجدوا فيها طلبا لهم وغايتهم فذكروها في رحلاتهم ووصفوا مجالسهم وترجموا لشيوخها.[4]

وقد اهتم المستنصر (647هـ- 675هـ/1249م- 1276م) بالمدارس ومنها المدرسة المستنصرية الذي درس بها محمد بن عبد الرحمان بن عسكر البغدادي.[5]

- **الزوايا:**

لقد عرفت الزوايا ازدهارا شبيها بازدهار المدارس ومن مهام الزوايا تحفيظ القرآن وتعليم العلم وإقامة حلقات العلم بمختلف أنواعها، ظهرت الزاوية المبيت الأول في عهد الخليفة أبي فارس عبد العزيز (763هـ- 837هـ/1364م- 1438م)، وقد أقيمت هذه الزوايا على أبواب الحاضرة لاستقبال المسافرين الواردين عليها من كل الآفاق، فقد أضيفت زاوية لجامع الملاسين،[6] وقام الأمير أبو عبد الله محمد ببنائه لزاوية الفندق

[1]- عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص137.

[2]- شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقية الشمالية من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، تر: محمد غزالي البشير بن سلامة، الدار التونسية، تونس، ج2، ص183.

[3]- ابن أبي الدينار: المصدر السابق، ص127.

[4]- محمد بن محمد الأندلسي، الوزير السراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تق، تح: محمد الجيب الهيلة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج1، ص58.

[5]- ابن أبي الدينار: المرجع السابق، ص 130.

[6]- عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص141.

وجعلها ملجأ لمبيت الواردين من ناحية تونس أو من ناحية القيروان،[1] ولقد أمر الأمير عبد الله المنتصر (838هـ- 839هـ/1440م- 1441م) ببناء زاوية الشيخ أحمد بن عروس وزاوية سيدي قام الزليجي.[2]

- **المكتبات:**

كانت مكتبات هذا العصر تحتوي على بعض المخطوطات بغض النظر عن المكتبات الغزيرة الكتب في بعض الأحيان والتابعة لبعض الخواص فإن المكتبات الموجودة في المدارس والزوايا والمساجد كانت تقوم بدور اجتماعي هام لأنها كانت تساعد على نشر المعارف لدى جمهور أوسع.[3]

ولقد اهتم أمراء الدولة الحفصية بإنشاء المكتبات وكان أول من قام بذلك هو السلطان أبو زكريا الأول وأول مكتبة أثبتت وجودها التاريخي بتونس بعد مكاتب القيروان في عهده مكتبة قصر القصبة التي ضمت ستة وثلاثين ألف مجلدا.[4]

[1]- أبو عبد الله محمد الزركشي: المرجع السابق، ص136.

[2]- أبو عبد الله محمد الزركشي: المرجع السابق، ص137.

[3]- روبار تشفيك: تاريخ إفريقية في العصر الحفصي من القرن13م إلى نهاية القرن15م، تقر: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ج2، ص384.

[4]- محمد الفاضل ابن عاشور: ومضات فكر، الدار المغربية للكتاب، تونس، 1982م، ص258.

الفصل الأول

عوامل تطور الحركة العلمية بالمغرب الأوسط

1) اهتمام السلاطين بالحركة الثقافية.

2) الحركة الصوفية.

3) دور الرحلات في الحركة العلمية.

1) اهتمام السلاطين بالحركة الثقافية:

لقد اهتم السلاطين بني حفص بالجانب الثقافي وأولوه العناية الكاملة، فازدهرت العلوم والفنون بفضل تشجيعهم وترغيبهم لرجال الفكر والفقه على عادة ملوك وأمراء المشرق، هذا الأمر أدى بالعديد من طلاب العلم وغيرهم إلى الإقبال لطلب العلم، وازدهرت الثقافة وانتعش الأدب اضافة إلى العلوم الأخرى،[1] ولقد اهتم السلطان أبو زكريا الأول بالعلماء والفقهاء ومن العلماء الذين قربهم لمجلسه وأكرمهم: أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار المتوسي المليانى وهو عالم العربية والفقه وأصول الدين استدعاه أبو زكريا إلى إفريقية، فأجله الحاضرين إجلالا كبيرا إلى أن توفي سنة (644هـ/1245م).[2]

كما قام أيضا أبو عبد الله المستنصر بن أبي زكريا يحي (647هـ-675هـ/1249م-1277م) بالاستفادة من مهاجري الأندلس، وبهذا طور الدولة وجعلها مقصد العلماء والأدباء ومن الذين استقدمهم أبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي المعروف بابن أندراس وهو طبيب وباحث وله معرفة بعلم العربية، ولقد استدعاه أمير المؤمنين أيضا إلى إفريقية، حضر مجلسه وأصبح من أطبائه وجلسائه[3]، وقد اهتم السلاطين والأمراء الحفصيين بالمؤسسات التعليمية وساهموا في بناء المدارس والجوامع والكتاتيب وشجعوا التأليف وجمع أصناف الكتب، وقد كان من بينهم من ينتمي إلى نخبة العلماء والفقهاء كالسلطان ابن زكريا الأول بن عبد الواحد بن أبي حفص (625هـ-647هـ/1227م- 1249م) الذي اشتهر بالأدب والشعر وله شعر مدون، وكان يجالس

[1] – عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص84.

[2] – أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، المصدر السابق، ص171، 172.

[3] – عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص891.

طلبة العلم ويشاركهم أحسن المشاركة نازعا عن نفسه ثوب السلطة متزينا بحلة العلم[1]، ولقد دفع حب المعرفة أبا زكريا بن أبي إسحاق الأول (625هـ-647هـ/1228م-1249م) قرب جامع الزيتونة كان يتسنى له بواسطتها الاستماع إلى الدروس التي تلقى في المدرسة بجوار قصره.[2]

كما كان الأمير أبو حفص عمر (683هـ-694هـ/1284م-1294م) ويعظم الصلحاء والفقهاء، وعلى عهده ملك الأمير أبو زكريا ابن الأمير أبي إسحاق قسنطينة وبجاية بعد عودته من تلمسان وأحسن فيهما السيرة بعقله، وكان ميالا لمجالس العلم، فقرب العلماء وأنزلهم منزلته، وكان يجالسهم في مجلسه الموقر بقسنطينة وكذلك ببجاية، وهو الذي وسع جامع القصبة بقسنطينة وأصلحه وجدده، وكان مشغولا ببناء المدارس واقتناء الكتب وجمعها.[3]

أما أبو يحي أبو بكر بن أبي زكريا (717هـ-747هـ/1317م- 1346م) فقد كان محسنا للفقهاء والصلحاء ومعتقدا في كراماتهم، وكان والد جد ابن القنفذ لأمه الشيخ يعقوب بن عمران البيوسفي (تـ717هـ-1317م) ممن اعتقد فيه.[4]

والسلطان أبو العباس الحفصي المولود (772هـ-796هـ/1370م- 1393م) سلك ذلك عندما كان أميرا على قسنطينة، ولقد أورد ابن القنفذ أن السلطان أبا العباس كان يحضر بعض الدروس العلمية بانتظام ويكفي هذا السلطان فخرا موقفه من عبد الرحمان

[1] – ابن القنفذ: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص112، 114.

[2] – ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص198، 199.

[3] – المصدر نفسه، ص148.

[4] – ابن القنفذ: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص164.

ابن خلدون عندما احتضنه وحماه طيلة السنوات الأربعة التي قضاها في تونس حتى وفر له من الوقت والاطمئنان مما ساعده على المزيد من التحري في كتابة تاريخه الكبير.[1]

2) الحركة الصوفية:

إن التصوف من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله، والإعراض عن زخرفي الدنيا وزينتها والزهد.[2]

ومصطلح التصوف مشتق من الصفاء أو من الصفة، والأصح أنها مشتقة من الصوف وهم في الغالب يختصون بلبسه.[3]

ولعبت الحركة الصوفية دورا علميا مزدهرا في الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط، وذلك بفضل انتشار حركة التصوف بين جميع الطبقات، بما في ذلك طبقة الفقهاء الذين كانوا قد ناصبوا الأفكار الصوفية العدائية.[4]كما أخذت الحركة الصوفية بفضل المتصوفين وتلاميذهم وأتباعهم اتجاها واحدا من الأندلس إلى إفريقية والمغرب الأوسط وهو ان تغلغلت تعاليمهم بين الأواسط الشعبية، وقد أدى هذا الإتجاه الى تغلب الفكر الصوفي على الحياة الفكرية على أكثر مظاهر الحياة بالبلاد، ولا تنكر وجود بعض المظاهر الإيجابية التي نتجت عن نشر تعاليم الصوفية في أرجاء بلاد المغرب الأوسط ومنها أن التصوف قد يسر تعريب الطبقات الشعبية سواء في الحواضر أو في الأرياف ,كما يسر

[1]– أبو زكريا يحي ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تق، تح، تع، عبد الحميد حاجيات، (ج1)، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980م، ص27.

[2] – الغبيرني: المصدر السابق، ص281.

[3] – المصدر نفسه، ص 282.

[4] – محمود بوعياد: جوانب من الحياة في المغرب الأوسط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص49.

نشر تعاليم الدين في الأواسط نفسها ومنها أيضا إستنفار الشعب وتجنيده ضد المعتدين على دار الإسلام.[1]

ولقد لقيت الحركة الصوفية ازدهارا كبيرا في بلاد المغرب خاصة بجاية وعنابة أواخر القرن السادس والقرن السابع الهجريين و12-13م نشاطا صوفيا تمثل في ظهور العديد من التيارات الصوفية التي كان لها صدى وتأثير كبيرين في المجتمع البجائي منها ما هو نابع من الحياة اليومية للمجتمع البجائي، حيث اعتمدت صوفية هذا التيار على الوعظ والتذكير والتخويف والترهيب، كما فضل البعض الآخر أسلوب المجاهدات والخلوة والانقطاع للوصول إلى المقامات العلمية، كما ظهر ببجاية صوفية آخرون استمدوا آرائهم الصوفية من أفكار ونظريات صوفية وفلسفية، وهذه التيارات التي عرفتها بجاية تنقسم إلى نوعين: تيار التصوف السني وتيار التصوف الفلسفي.[2]

أما في قسنطينة فالحركة الصوفية تزعمتها بيوتات العلماء، التي تحولت إلى بيوتات صوفية، حيث اضطلع كل بيت بنشر أفكار الطريقة الصوفية التي ينتمي إليها، فالبيت القنفذي قد اتخذ من الطريقة المدنية والشاذلية مسلكا والتي ورثها عن البيت الملاري، حيث كان ابن القنفذ الخطيب(ت810هـ/1470م) يعتبر تصوف الطريقة تصوفا سنيا معتدلا، بعيدا عن البدع والخرفات وقريبا من تصوف العلماء.[3]

وقد اقتسمت البيوتات العلمية الصوفية النفوذ الروحي والوظيفي والجاه بمدينة قسنطينة فكانت أحد الأطر الطبيعية التي حافظت على استمرار التصوف السني بقسنطينة ضمن الفكر الغزالي والطرق المدنية والشاذلية والقادرية، ولم يتشكل ذلك في مدة

[1] – محمود بوعياد: المرجع السابق، ص50.

[2] – السعيد عقبة: الحياة العلمية والفكرية في بجاية خلال القرن 7هـ/13م، رسالة الماجستير، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2009م، ص129.

[3] – علال بن عمر: الحركة العلمية وبيوتات العلماء في مدينة قسنطينة من القرن 7هـ – 10هـ/13م– 16م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، قسنطينة، 2010م/2011م، ص126.

زمنية قصيرة، بل عبر المسار التاريخي للبيت الصوفي، يضيف فيه الأبناء والأحفاد على تراكمات أجدادهم الصوفية ما كسبوه من اتصالات بالمشرق والمغرب والأندلس.[1]

وارتبط انتشارها بظاهرة الزوايا فكانت مزدوجة المصدر، بحث أخذت عن التصوف الذي نشر في بلاد المغرب أقطابا منهم أبو سعيد (تـ630هـ/1231م)،[2] وأبو الحسن الشادلي صاحب الأحوال الصوفية توفي بالمشرق (تـ657هـ/1258م) وأصبح ضريحه على أبواب تونس جنوبا من أنشط مراكز الفرق الصوفية في إفريقية والمصدر الثاني للحركة الصوفية هو مصدر شعبي محلي تحث مثله في الغالب الأولياء الصالحين والمرابطين.[3]

وفي القرن (07هـ/13م) كان يوجد في المدارس الحفصية الأولى صوفي هو عبد الله الشريف مما يدل على أن التصوف لم يكن مستبعد من المدارس، وكان الشيخ أبو مدين أصيل مدينة بجاية أول من نشر طريقة تصوف الإمام الغزالي المعتدلة في إفريقية.[4]

وفي منتصف القرن (07هـ- 13م) إزداد عدد المتصوفين بحيث لا يكاد يخلو منهم حي من أحياء المدينة، ونذكر منهم الشيخ أحمد ابن إدريس البجائي، والشيخ الصوفي أبو العباس أحمد الخرزان(601هـ/1203م) كان يدرس التصوف في كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي[5] والرسالة المنسوبة للقشيري، ونتيجة الإنتشار التصوفي في بجاية ظهرت

---

[1] – علال بن عمر: المرجع السابق، ص127.

[2] – عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة، تح: آباء عبد الرحمان عادل بن سعد، الدار الذهبية، القاهرة، مصر، 2006م، ص521، 522.

[3] – عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة، ص522.

[4] – محمد الهادي الشريف: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تعر: حمد الشاوش ومحمد عجينة، ط1، دار سركس، تونس، 1993م، ص61.

[5] – عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص81.

الزوايا، وأصبحت مركز للإشعاع الروحي والفكري، ولأبو مدين شعيب دور في نشر التعليم ببجاية.[1]

3) دور الرحلات في الحركة العلمية:

لقد رفع أبناء الدولة الحفصية منار الحضارة والتقدم في عدة ميادين, فاستطاعت أن تجلب إليها سمعتها الذائعة, عزم أهل الرحلة والسياحة لاستطلاع مظاهر عظمتها وتحكمت في هذه الرحلات عدة دوافع منها الرغبة في طلب العلم, وطلب الاسترادة بالاستفادة من العلماء والأدباء والفقهاء وغيرهم ممن ذاع صيتهم في البلاد الإسلامية وكانت رغبة هؤلاء الرحالة كبيرة في إكتشاف المعرفة العلمية،[2] ونذكر من بين هذه الرحلات:

أ- الرحلة إلى تونس:

انتقلت كوكبة من علماء المغرب الاوسط إلى تونس باعتبارها مركزا حضاريًا للسلطنة الحفصية، وذلك من أجل الرغبة في التزود بالمعرفة والتحصيل من شيخوها الكبار حيث اشتغل معظمهم بالتدريس والإفتاء والقضاء نذكر منهم:

1- أبو الهادي مصباح بن سعيد الصنهاجي القسنطيني (تـ747هـ/ 1346م):[3]

يعتبر من إخوان جد ابن القنفذ للأم ويقال انه من المغرب، ارتحل إلى المشرق، وجاور بمكة والمدينة، مدة زمنية للعبادة، وانتقل إلى بلاد إفريقية، بعد أن همّ بالإقامة

[1] – عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص81.

[2] – محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص597.

[3]– ابن القنفذ: الوفيات، تح عادل نوهيض، ط3، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1980م، ص351.

ببرقة وطرابلس، وخرج الشيخ أبو الهادي مساءا من قسنطينة وبات في الزاوية الملارية،[1] وتوفي بها ودفن بزاويته.[2]

2- أبو القاسم بن الحاج عزوز بن علناس القسنطيني (تـ755هـ/ 1354م):[3]

يعود أصله من بني علناس ويعتبر من كبار الفقهاء البارزين في الفقه واللغة من أهل قسنطينة وعلمائها، والعارفين بأصول الدين، رحل إلى تونس واستقر بها، وألف العديد من الكتب والمؤلفات منها: "مختصر حسن الفرائض" وتوفي في قسنطينة.[4]

3- عبد الرحمان بن محمد الغازي القسنطيني (تـ في القرن 8هـ/14م):[5]

كان فقيها وله دراية تامة بالأنساب والتاريخ من كتاب العلامة في الدولة الحفصية في عهد أمير بجاية يحي بن إبراهيم (683هـ- 1284م/700هـ- 1300م)، ذكره بن الأحمر في كتابه "مستودع العلامة"، بقوله: "الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى كاتب علامة المنتخب".[6]

4- أبو إسحاق بن إبراهيم بن وحاد الكومي القسنطيني (تـ في القرن 8هـ/ 14م):

شاعر مفوه وأديب بليغ من أهل قسنطينة، عاش في النصف الأول من القرن الثامن هجري،[7] وذكر ابن القنفذ بقواه: "كان من فحول الشعراء له في الأمراء الراشدين أمداح

---

[1]- ابن القنفذ: أنس الفقير وعز الحقير، تح: محمد الفاسي وأدولف فور، مطبعة أكدال، الرباط، 1965م، ص50،51.

[2]- ابن القنفذ: الوفيات، ص351.

[3]- المصدر نفسه، ص358.

[4]- عبد العزيز فيلالي: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، ص126.

[5]- ابن القنفذ: الوفيات، ص156.

[6]- عبد العزيز فيلالي: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، ص125.

[7]- عبد العزيز فيلالي: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، ص125.

مدونة"، وقال عنه كذلك: "من بيوتات قسنطينة العدول كتابه مع حسن الخط وإجازة اللفظ إلى وفاة الخليفة".[1]

ب- الرحلة إلى المغرب والأندلس:

ارتحل مجموعة أخرى من علماء المغرب الأوسط إلى المغرب والأندلس، حيث تحصلوا على مناصب علمية وفقهية مرموقة ونذكر منهم:

1- أبو العباس أحمد بن خلف الأزدي القسنطيني (تـ737هـ/ 1142م):[2]

فقيه مالكي محدث بارعًا من أهل قسنطينة، شد رحاله في طلب العلم واستزاده منه إلى بلاد الأندلس واستقر بمدينة إشبيلية، وتزود من مختلف علوم شيوخها وعلمائها حتى نبغ في هذا الميدان، وأصبح من رواده وتوفي في إشبيلية.[3]

2- أبو الفضل قاسم بن علي بن عبدون (تـ6هـ/ 12م):

كان قاضيًا محدثًا وحافظا ملمًا بأصول الدين ونشأ بمدينة قسنطينة، وتعلم بها، رحل في طلب العلم إلى الاندلس، حيث مكث بها، واشتغل بالتدريس في مدارسها،[4] وتتلمذ عليه جماعة من الاندلسيين نذكر منهم ابن فرقد القرشي الفهري المتوفي في سنة (627هـ/ 1229م).[5]

[1]- ابن القنفذ: الفارسية، ص179.

[2]- الزركشي: المصدر السابق، ص151.

[3]- عبد العزيز فيلالي: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، ص130.

[4]- عبد العزيز فيلالي: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، ص30.

[5]- المرجع نفسه، ص31.

3- أبو علي حسن بن علي بن لفقون القسنطيني (ت بعد سنة602هـ/ 1205م):[1]

توارث أفراد عائلته العلم عنه مدة تزيد عن تسعة قرون من الزمن من كان فقيهًا وأديبا، غزير النظم والنشر، أحد شيوخ الرحلة العبدلية البارزين، رحل إلى مدينة مراكش كان به محل تقدير وترحيب في كل مكان يحل به، له ديوان شعر، وقد اشتهر بمنظومته التي ظمتها رحلته المشهورة من قسنطينة إلى مراكش، وذكر فيها المدن التي مر بها.[2]

4- أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن حسن بن علي ين ميمون الشهير بابن الخطيب وابن القنفذ القسنطيني: (733هـ/ 1333م):[3]

رحل العلامة ابن الخطيب إلى المغرب الأقصى وخاصة إلى مدينة فاس لطلب العلم سنة (759هـ/ 1357م)، بعد إنهاء تعليمه بقسنطينة أراد الاستزادة من معارفه ومداركه فشد الرحال قاصدًا أراضيها، وقد كانت رحلته هذه فرصة له لأخذ عن جملة من علماء المغرب الأقصى.[4]

ت- الرحلة إلى المشرق:

هاجر الكثير من علماء المغرب الأوسط وفقهائه إلى بلاد المشرق، واستقروا بأقطارها المختلفة، حيث اشتغلوا بمناصب إدارية وعلمية وفقهية عليا، ساهموا بنشاط علمي كبير في التدريس والتأليف والشروح إلى جانب إخوانهم من أهل المشرق نذكر منهم:

[1]- الغبريني: المصدر السابق، ص280.

[2]- عبد العزيز فيلالي: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، ص107.

[3]- ابن القنفذ: الوفيات، ص345.

[4] - عبد العزيز فيلالي: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط ، ص144.

1- أحمد بن علي: بن يوسف تقي الدين أبو العباس البوني (تـ622هـ/ 1225م):[1]

وهو المتصوف الفلكي الرياضي، صاحب التصانيف العديدة المفيدة في علم أسرار الحروف والأسماء وغيره رحل إلى المشرق واستقر بالقاهرة إلى أن توفي بها.[2]

2- حسن بن خلف الله بن حسن بن أبي القاسم بن ميمون بن باديس القيسي القسنطيني (تـ784هـ/ 1382م):[3]

ولد سنة (707هـ/ 1307م)، أحد من تمثل فيهم العلم والرواية في قسنطينة، وجمع بين الطريقة الإفريقية والمشرقية،[4] انتقل من قسنطينة إلى الحجاز، حيث لقي أعلامًا كثيرة، أخذ عنهم وأجازه وتوفي وهو قاض بقسنطينة.[5]

[1]- ابن القنفذ: الوفيات، ص137.

[2]- حساني مختار: الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، ص37.

[3]- أحمد بابا التمبكتي: نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ج1، 1989م، ص161.

[4]- حساني مختار: الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، ص234.

[5]- أحمد بابا التمبكتي: المصدر السابق، ص161.

الفصل الثاني

مظاهر الحياة الثقافية في المغرب الأوسط

I. المؤسسات التعليمية.

II. الوراقة ونسخ الكتب.

I. المؤسسات التعليمية:

لقد ازدهرت الحياة التعليمية في الدولة الحفصية بفضل تشجيع السلاطين لها، وقيام العديد من العلماء برحلات علمية إلى المشرق والمغرب، مما أدى إلى ظهور مؤسسات كالمساجد والمدارس والزوايا، التي انتشرت في هذه الفترة.[1]

1)المساجد:

كانت المساجد قبل تأسيس المدارس هي المؤسسة الوحيدة التي تستقبل الطلبة والمصلين، وكانت تعقد في المسجد الواحد عدة حلقات دراسية للطلبة،[2] فالوظيفة الأساسية التي كانت تقوم بها المساجد قيام المسلمين بأداء الصلوات فيها وتحفيظ القرآن الكريم وتعليم الفروض الدينية، وبعض العلوم الإسلامية، والتعريف بشؤون الناس وعلاج مشاكلهم وقضاياهم اليومية.[3]

وكما ساهمت المساجد أيضا في تطوير الحركة التعليمية، حيث تخرج منها الكثير من علماء الفكر والثقافة، فالمسجد كان المؤسسة التعليمية الاولى خلال هذه الفترة، واعتنى الحفصيون كذلك ببناء العديد من المساجد والجوامع، واهتمامهم بها وترقية بعض المساجد التي كانت موجودة من قبل ونذكر منها:[4]

[1] – أسماء شنوفي وسمية برادعي، عمرية طواهري: الحياة الثقافية في عهد الدولة الحفصية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة الوادي، الوادي، 2011م،2012م، ص15.

[2] – عبد العزيز فيلالي: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، ص90.

[3] – سعاد فويال: المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة، 2010م، ص9.

[4] – المرجع نفسه، ص11.

1.مساجد قسنطينة وبونة:

أ-الجامع الكبير:

يعد الجامع الكبير من أقدم المساجد في قسنطينة،[1]وذلك حسب ما دلت عليه كتابة عربية وجدت مكتوبة بخط كوفي حول المحراب: "هذا من عمل محمد أبو علي البغدادي في عام 530هـ/1136م"،[2] وعلى ذلك يكون من منشآت دولة الحماديين والتاريخ يوافق على وجه التحديد أيام حكم الأمير علي بن يحي بن تميم بن المعز بن باديس، هذا الأخير الذي كلف محمد ابو علي البغدادي بالإشراف على بنائه،[3] وذلك راجع إلى العثور على كتابة منقوشة فوق ضريح عثر عليها في هذا المسجد كان موجودا خلال القرن 07هـ/13م بحي البطحاء بقصبة قسنطينة.[4]

وكان لهذا المسجد دور كبير ميدان العلم والتربية، فعقدت فيه العديد من مجالس العلم منها مجلس الفقه الذي تخلق منه الأمير أبو إسحاق (تـ753هـ/1352م) بأخلاق محمودة كالصدق والشفقة والمحافظة على الصلاة في وقتها،[5] كما وصفه ابن القنفذ "أنه جامع جميل وذو شأن أقدم من جامع القصبة ولم يبقى له أثر".[6]

---

[1] – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ج1، ص247.

[2] – المرجع السابق، ج1، ص261.

[3] – محمد المهدي بن علي شغيب: أم الحواضر في الماضي والحاضر (تاريخ مدينة قسنطينة)، وطبعة البعث، الجزائر، 1980م، ص233.

[4]. Mercier: Gorpus des instruction "Arabes et turques d'algérie",Départenent de constantine, T.2, p5 et6.

[5] – ابن القنفذ، الفارسية، ص187.

[6] – المصدر نفسه، ص148.

ب- جامع الخطبة (القصبة):

وسعه أبو زكريا الزواوي[1](تـ647هـ/1249م)[2]بقسنطينة وأصلحه جدده واشترى دورا من الحصر وزادها في القصبة، حتى أصلح بذلك سور القصبة وطرقها[3]، ويحمل هذا الجامع الذي يعود تاريخه إلى بنائه إلى تأسيس الدولة أدلة ساطعة على ذوق حكام الدولة الحفصية الجدد، والتقاليد الفنية التي اتبعوها[4]،وترجع تسميته إلى المدينة التي يقع فيها، وكان يسمى أيضا بجامع الموحدين وذلك في المائة السابعة.[5]

وأطلقوا عليه أيضا اسم الجامع الحفصي وهي موافقة لحقيقة حاله.[6]

ومن المساجد كذلك مسجد سيدي النقاش في قسنطينة، الذي استخرجت منه في العصر الحديث بعض شواهد قبور رجال الدين تحمل أسماء شيوخ وفقهاء دفنوا في القرنين 7هـ- 8هـ/13م- 14م.[7]

[1] – وهو من الأمراء الحفصين الذين تولوا بجاية ويبدوا أنه لم يحكمها مدة طويلة 11عاما، دفن في جامع بونة إلى جانب الشيخ الصالح بن مروان عبد المالك اليحصبي ثم نقل جسده بعد ذلك إلى قسنطينة ودفن بها. أنظر إلى أبو عبد الله محمد بن أحمد الشماع: الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمد العمودي، الدار العربية للكتاب، 1984م، ص60.

[2] – المصدر السابق، ص61.

[3] – ابن القنفذ، الفارسية، ص148.

[4] – عبد العزيز لعرج: مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية، المركز الوطني للدراسات، 2007م، ص65.

[5] – المرجع نفسه، ص66.

[6] – ابن أبي الدينار: المصدر السابق، ص127.

[7] – روبار برونشفيك: المرجع السابق, ج1، ص421.

ت- مسجد الفاضل أبي عبد الله الصغار (تـ750هـ/1349م)[1]:

هو من أقدم المساجد في مدينة قسنطينة، يقع بالقرب من باب القنطرة،[2] وكانت لأبي عبد الله البركة التامة والكرامة[3] العامة حيث اختصه والد ابن القنفذ لتدريس بناته ويعلمهن القرآن ولم تفارقه إحداهن حتي ختمت وكررت ثلاث مرات.[4]

ث- مسجد بو مروان البوني:

يقع هذا المسجد حسب شهادة البكري خارج المدينة (بونة)، وهو قطعا ليس من مساجد داخل المدينة وليس هو بمسجد بو مروان،[5](تـ647هـ/1250م)،[6] بل يعود بناؤه وتشييده إلى أبي الليث البوني سنة (425هـ/1033م) المتوفي سنة (450هـ/1058م) وفي سنة (571هـ/1177م) وقع حريق بهذا المسجد، فأعيد ترميمه من ناحية الجدار الشرقي (682هـ/1283م) ثم الجدار الشمالي سنة (696هـ/1300م).[7]

ويعتبر هذا المسجد حسب وصف بعض الباحثين أنه من أفخر المباني التي احتفظت بها الجزائر من ماضيها المجيد، وهو عبارة عن مجد العبادة ورباط للدفاع الوطني.[8]

---

[1] – ابن القنفذ: الوفيات، ص356.

[2] – محمد المهدي بن علي شعيب: المرجع السابق، ص254.

[3] – أبو العباس الغبريني، المصدر السابق، ص127.

[4] – ابن القنفذ: أنس الفقير وعز الحقير، ص45.

[5]– أبو عبد العزيز بن محمد البكري: المغرب في ذكر إفريقية والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك، مكتبة المثنى ببغداد، ص55.

[6] – عثمان شبوب: مسجد سيدي بو مروان العتيق بعنابة، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، الجزائر، العدد 35/34، 1976م، ص192.

[7] – ابن الشماع: المصدر السابق، ص60.

[8] – عثمان شبوب: المرجع السابق، ص212.

2.مساجد بجاية:

أ- مسجد أبي زكريا الزواوي (تـ647هـ/1250م)[1]:

يقع بحومة اللؤلؤة خارج باب المرسى عند قبر الشيخ الولي الصالح أبو عبد الله العربي[2] (تـ493هـ/1092م)[3] وهناك من يقول أنه يقع بالقرب من باب المرسى بحي البطحاء،[4]كما أورد عنه الغبريني (تـ714هـ/1304م)[5] في كتابه "الدراية" أنه من المساجد ذات الشهرة الفائقة في بجاية، وكان هذا المسجد موجودا في القرن (6هـ/12م)، حيث كان يتردد عليه أبو مدين شعيب الأنصاري[6] (تـ595هـ/1194م)[7] الذي جلس به ليعلمهم أمور دينهم، فعرف باسمه، وكما كان أبي زكريا الزواوي يقيم مجلسان في هذا المسجد الأول في الحديث والثاني في التفسير الذي يقرأه بعد صلاة الجمعة لكثرة الناس في ذلك الوقت (بعد الصلاة).[8]

ب- المسجد الأعظم:

يعود بناء هذا المسجد إلى القرن 5هـ/11م، خلال فترة حكم المنصور بن الناصر الحمادي (تـ481هـ-498هـ/1088م-1105م) الذي شيده بجانب قصر اللؤلؤة،[9] وكان

---

[1] – ابن القنفذ: الوفيات، ص306.

[2] – الغبريني: المصدر السابق، ص151.

[3] – محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية, المطبعة السلفية، القاهرة، 1350، ص123.

[4] – الغبريني: المصدر السابق، ص82.

[5]– محمد بن مخلوف: المصدر السابق، ص259.

[6] – هو شعيب بن الحسن الأنصاري الأندلسي الأصل من أحواز إشبيلية كان زاهدا في الدنيا عارفا بالله تعالى وخاض بحارا من الأحوال، توفي (595هـ/1194م) ودفن بتلمسان ومن أهم مشايخه: الشيخ سيدي أبي محمد عبد العزيز المهدي، وأبي البقاء عبد الله. أنظر إلى: ابن القنفذ: أنس الفقير، ص53. والغبريني: المصدر السابق، ص90.

[7] – ابن الشماع: المصدر السابق، ص60، وأنظر إلى: الغبريني: المصدر السابق، ص91.

[8] – مختار حساني: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ط1، دار الحكمة، ج3، ص267.

[9] – الغبريني: المصدر السابق، ص263.

مكان تواجده في القلعة الحمادية،[1] ولم يضطر الأمراء الحفصيون لأداء صلاة الجمعة فيه إلا سنة 749هـ/1348م.[2]

وقد عبر العبدري (تـ720هـ-1325م) عن إعجابه به عندما مر ببجاية في القرن 7هـ/13م، حولي سنة 680هـ بقوله: ((ولها جامع عجيب منفرد في حسنه غريب من الجوامع المشهورة الموصوفة المذكورة، وهو مشرف على برها وبحرها وموضوع بين سحرها ونحرها، فهو غاية الفرجة والأنس، وينشرح الصدر لرؤيته وترتاح النفس)).[3]

وضل هذا المسجد مركزا للعلماء ومقصد طلاب العلم، حيث كانت تدرس به مختلف العلوم العقلية في شكل حلقات مسجدية التي كان ينشطها أبو زكريا بحي الزاوية في علم الحديث والفقه والتذكير،[4] ولكنه اندثر كليا بفعل الاحتلال حيث كان قائما إلى غاية العقدين الأولين من القرن 10هـ/16م.[5]

ت- المسجد المرجاني:

نسبة إلى الفقيه أبي زكريا المرجاني[6] (تـ699هـ- 1300م)[7] الموصلي الذي كان كثير التردد على هذا المسجد، وجلس للتدريس به، فنسب إليه تكريما له بعد رجوعه إلى

---

[1] - الغبريني: المصدر السابق، ص265.

[2] - المصدر نفسه، ص270.

[3] - العبدري: المصدر السابق، ص83.

[4] - مفتاح خلفات: قبيلة زواوة بالمغرب الأسط ما بين القرنين (6 هـ - 9هـ) (12- 15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري، الأمل، تلمسان، 2011م، ص180.

[5] - إسماعيل العربي: بجاية من خلال النصوص الغربية (مارمول)، مجلة الأصالة، العدد19، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائرية، الجزائر، 1974م، ص76.

[6] - هو أبو محمد عبد الله بن محمد العرشي المرجاني فقيه واعظ صوفي المفسر أحد أعلام في الفقه والتصوف، قدم مصر ووعظ بها واشتهر في البلاد، ومات بتونس سنة (699هـ/1300م)، وامتحن وأفتى العلماء بتفكيره، أنظر: ابن القنفذ: الوفيات، ص335.

[7] - الغبريني: المصدر السابق، ص165.

بلاده الموصل في بلاد المشرق،[1] وهو مسجد حومة اللؤلؤة يجتمع فيه الأفاضل والصلحاء والمتعبدون، وكانوا يسمعون منه غرائب ويطلعون من أحواله عن العجائب.[2]

ث- المسجد الجامع بقصبة بجاية: تأسس في القرن 6هـ/12م.[3]

لقد ساهم هذا المسجد في تعليم مبادئ الشريعة والدين فكان العديد من الناس يتصلون بالفقهاء وشيوخ الفتيا يبحثون عن حلول لمشكلاتهم المتنوعة التي يجيب عنها نخبة من الفقها أمثال: أحمد الغبريني[4] (تـ714هـ/1315م)،[5] وناصرالدين المشذالي (تـ731هـ/1332م)[6] وعيسى الغبريني[7] (تـ816هـ/1419م).[8]

[1] – الغبريني: المصدر السابق، ص165.

[2] – ابن القنفذ: الفارسية، ص29، وكتابه الوفيات، ص335، والزركشي: المصدر السابق، ص54، وابن الشماع: المصدر نفسه، ص82.

[3] – الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيزي من القرن 10هـ إلى القرن 12م، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، دار العرب الإسلامي، لبنان، 1992م، ج2، ص109.

[4] – هو أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي الغبريني، وكنيته أبو العباس وقد غلبت عليه شهرته الغبريني نسبة إلى (بني غبري) بطن من قبائل الأمازيغ (البربر) في المغرب الأوسط، وميلاده في المائة السابعة سنة 644هـ/1246م، انطلق منذ صغره نحو العلم، فحفظ القرآن وعلوم الفقه والتفسير والحديث والمنطق، وتوفي في بجاية نتيجة لإصابته بالطاعون، أنظر إلى: الغبريني: المصدر السابق، ص13. وأنظر: مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص170.

[5]– الغبريني: المصدر السابق، ص14، وابن القنفذ: الفارسية، ص31.

[6] – ابن القنفذ: الوفيات، ص344.

[7] – هو أبو مهدي عيسى ابن أحمد ابن محمد الغبريني التونسي قاضي الجماعة بها عالما وصالحا وخطيبا بجامعها الأعظم بعد ابن عرفة وحافضها العام الجليل المعقم أوجد أهل زمانه علما ودينا وفضلا. أنظر: محمد ابن مخلوف: المصدر السابق، ص243.

[8] – أحمد بابا التنبكتي: المصدر السابق، ص297.

وقد حضي هؤلاء بتقدير وتبجيل كبيرين من قبل عامة الناس وخاصتهم لما كانوا يساهمون به من جهود معتبرة في تعليم الناس وتثقيفهم أدق الأمور الدينية في العبادات والمعاملات وفي محاربة البدع والأهواء.[1]

كما كان العلامة عبد الرحمان بن خلدون درس به عند حلوله ببجاية عام (766هـ/1365م)، وكان مبجلا عند الأمير الحفصي أبي عبد الله (647هـ-675هـ/1149م- 1277م)[2]، وفي ذلك يقول ابن خلدون: ((وقدمني للخطابة بجامع القصبة وأنا مع ذلك عاكف بعد انصرافي من تدبير الملك غدوة إلى تدريس العلم أثناء بجامع القصبة لا أنفك عن ذلك)).[3]

وقد حضي هذا المسجد بكرسيين للتدريس الأول: خاص بالطلبة النظاميين يختار عادة من بين أكفاء الأساتذة، وبالثاني: الشيخ الواعظ الموجه لعامة الناس.[4]

ج- مسجد قصر اللؤلؤة:

لقد أتم الأمير المنصور ابن ناصر الحمادي (498هـ-515هـ/1105م-1121م)[5] من بناء قصر اللؤلؤة سنة (494هـ/1100م)،[6] لكنه حوله إلى مسجد ووضع فيه الحجر

[1] – مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص171.

[2] – المرجع نفسه، ص171.

[3]– عبد الرحمان ابن خلدون: تعريفات بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، تح: محمد بن تاويتي الطنجي، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م، ص97، 98.

[4] – AtallahDhina: Les etats de la cident musulmane aux XIII et XV, siècles office de publication universitaire, Alger, 1984, p289,290.

[5] – عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: أحمد بدر، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1978م، ص48.

[6] – رشيد بو روبية: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م، ص209.

الأساسي لمحاربه وزينه بعمودين من الرخام الأحمر، وجد في ردم الكنيسة لما سمع صاحب روما بذلك أراد أن يشتريه منه، لكنه لم يقبل ثم قام ببناء محراب بينهما.[1]

إذا فإن هذا المسجد لعب دورا هاما في ازدهار وإثراء الحركة الفكرية والتعليمية بما كان يعقد فيه من مجالس للذكر وحلقات الدرس فضلا عن المناقشات والمناظرات العلمية التي كان ينشطها فيه بعض الفقهاء.[2]

2)الزوايا:

لقد تعددت مراكز مؤسسات التعليم وقراءة القرآن في المغرب الإسلامي وبالأخص في الدولة الحفصية التي عرفت العديد من المؤسسات، وكان من بينها الزوايا التي كانت تلقى فيها الدروس وتقام فيها الصلوات الخمسة وساهمت في نشر التعليم[3]بمختلف أطوار بأسلوب بسيط[4]،كما أصبحت الزاوية تنافس المسجد والمدرسة في نشر التعليم من جهة وكمكان للعبادة من جهة ثانية.[5]

وأدت الزوايا في العهد الحفصي أدوارا بارزة، تمثلت في دور اجتماعي؛ كإيواء الفقراء والغرباء وعابري السبيل، ودور تربوي تعليمي تمثل في استقبال طلاب العلم والمعرفة،[6]حيث عملت على تحفيظ القرآن الكريم ونشره وترسيخ الفكر الصوفي، وكما عملت أيضا على نشر اللغة العربية دون إهمال مختلف العلوم الأخرى.[7]

[1] – عبد العزيز لعرج: المرجع السابق، ص215.

[2] – مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص173.

[3] – الحسن بن محمد الوزان الفاسي: المصدر السابق، ج2، ص56.

[4] – محمد محمودي: المساجد والزوايا ببجاية ودورها في حفظ الدين والفكر الصوفي، مجلة حوليات التراث، العدد13، جامعة سعيدة، الجزائر، 2013م، ص98.

[5] – أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص38.

[6] – المرجع نفسه، ص267.

[7] – محمد محمدي: المرجع السابق، ص99.

وإلى جانب ذلك اعتبرت الزوايا بمثابة مخازن ودواوين للكتب والمخطوطات في مختلف العلوم، كعلوم القرآن والتفسير، وفي جمع الحديث، وفي كتب السيرة النبوية، وفي مناقب الصالحين والمتصوفة.[1]

وساهمت الزوايا أيضا في إنهاء بعض الخلافات الداخلية ومحو الفوارق الاجتماعية ورفعت في الكثير لواء الجهاد الديني وازدادت انتشارا خاصة في القرن 6هـ- 12م وكان لها نوعان:[2]

- **النوع الأول:** يدعى شيوخها المعرفة بأسرار دينية لكل شيخ طريقة لفرضها على أتباعه من الفقراء والإخوان الموحدين فعندما تكون الزاوية ميسورة من الناحية المادية وذلك من غنى شيوخها وكثرة الأوقاف تخصص نصيبا لتعليم وتحفيظ القرآن الكريم وتعليمهم العلوم الدينية مثل الفقه والتوحيد واللغة.
- **النوع الثاني:** لا يدعي شيوخها معرفة أسرار دينية معينة ولكن يتخذون لأتباعهم ((ورد)) خاصا من الأذكار يتلونها وراء الصلوات، كما يعلمون الأطفال القرآن وتلاوته وبعض العلوم الدينية.[3]

ومن هذه الزوايا نذكر:

✓**زاوية آل الفكون:** وهي الموجودة اليوم بحي الخرازين وتعرف أيضا بالزاوية التجانية الفوقانية ودفن بهذه الزاوية الشيخ العلامة عبد الكريم الفقون[4] توفي في

[1] – محمد محمدي: المرجع السابق، ص100.

[2] – المرجع نفسه، ص101.

[3] – كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية، الإسكندرية، 1996م، ج7، ص133. وأنظر إلى: سعاد فويال: المرجع السابق، ص14.

[4]– عبد الكريم الفكون: منشور الهداية في كشف حال من أدنى العلم والولاية، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1987م، ص29. وأنظر إلى: محمد المهدي بن شعيب، ص255.

(1073هـ/1662م) وهو من مشاهير علماء القرن 10هـ/16م[1]، حيث لعبت دورا رئيسيا في نشر التعليم في قسنطينة بل وفي المغرب الأوسط عموما.[2]

✓**الزاوية الملارية:** وسمية أيضا بالزاوية البويوسفيين، وهي زاوية أبي يوسف يعقوب بن عمران البويوسفي، حيث قال عنه ابن القنفذ: أنه ارتحل في صغره إلى أبي مسعود بن عريف هذبه وأحسن تربيته وانتفع على يده وأمره بالانصراف إلى وطنه قسنطينة فأقام بها زاوية وبها توفي في (717هـ/1317م).[3]

كما بنيت بقسنطينة في القرن 9هـ/15م زاوية في مكان فندق كان يباع فيه الخمر[4]بالإضافة إلى أربعة زوايا أخرى توجد عبر أحياء قسنطينة.[5]

ومن زوايا مدينة قسنطينة أيضا زاوية **الشيخ أبي هادي مصباح الصنهاجي،**[6] أحد تلامذة الشيخ الملاوي جد ابن القنفذ القسنطيني.[7]

✓**زاويا بجاية:**

أسس ابو زكريا يحي الزواوي (تـ611هـ/1210م)[8] زاوية في بجاية انتفع بها العديد من الناس الذين كان يرشدهم عن أمور دينهم ودنياهم.[9]

---

[1] – عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص30.

[2] – ابن القنفذ: الفارسية، ص50، 95.

[3] – ابن القنفذ: الوفيات، ص58.

[4] – ابن القنفذ: الفارسية، ص83.

[5] – المصدر نفسه، ص84. وأنظر إلى: حسن الوزان: المرجع السابق، ج2، ص56.

[6] – ابن القنفذ: الوفيات، ص351. وأنظر إلى: محمد المهدي بن شعيب: المرجع السابق، ص221.

[7] – ابن القنفذ: أسر الفقير، ص52.

[8] – محمد بن المخلوف: المصدر السابق، ص185.

[9] – الغبريني: المصدر السابق، ص61.

وكان لهذه الزوايا الدور الكبير في نشر مختلف العلوم حيث كانت تلقى فيها العديد من الدروس وتقام فيها الصلوات الخمس.[1]

- زاوية الشيخ أحمد بن إدريس البجائي:

توفي بعد سنة (760هـ/1359م) اختار الفقيه الصوفي أحمد بن إدريس البجائي التصوف والخلوة فأسس زاوية خاصة به في حدود سنة (760هـ/1559م) بقرية أيلولة ببجاية حيث اشتهرت بنشرها للتعليم ومناهج التصوف ولا يزال معهده هذا يحمل اسمه بالقبائل الكبرى قرب معهد الشيخ عبد الرحمان البلولي.[2]

- زاوية الشيخ الحاج حسين:

عاش ببجاية وتأسست الزاوية (770هـ/1368م)[3]حيث ساهمت في نشر الثقافة والتعليم والاهتمام بالتدريس في مختلف العلوم الدينية من تحفيظ القرآن والقراءات السبع وعلوم الحديث،[4]وتدريس الفقه المالكي إلى جانب اهتمامها بعلوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة، ودون إهمال لبعض العلوم.[5]

[1] – كمال بوشامة: الجزائر أرض عقيدة وثقافة، تر: محمد المعراجي، دار هومة، الجزائر، 2007م، ص136.

[2] – محمد المهدي: المرجع السابق، ص96.

[3] – المرجع نفسه، ص97.

[4] – يحي بو عزيز: أعلام الفكر والثقافة المحروسة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، 1995م، ج1، ص43.

[5] – المرجع نفسه، ص44.

- زاوية الشيخ يحي العيدلي:

تقع هذه الزاوية في قرية تامقرة ببني عبدل، وتنسب لمؤسسها الشيخ يحي العبدلي (تـ881هـ/1476م)[1] الذي تتلمذ على علماء بجاية التي كانت تعج بفضائل العلماء.[2]

- زاوية محمد التواتي(9هـ/15م) :

تنسب هذه الزاوية للولي الصالح والعالم محمد التواتي الذي كان يتمتع بشهرة عالية عند أهل بجاية في القرن 9هـ.حيث كانت فتواه لا ترد من بجاية إلى توزر، وهو معاصر للشيخ يحي العبدلي، واشتهرت زاويته بنشر الثقافة والتعليم الديني، فخرجت أجيال من العلماء وقد كانت فيها أوقاف كثيرة ساعدتها على مواصلة نشاطها ومسيرتها العلمية.[3]

- زاوية الشيخ أحمد بن يحي بأمالو:

تأسست في القرن 9هـ/15م من قبل الشيخ أحمد بن يحي الذي كان مدرسا بها، بعد أن كان أحد طلاب الشيخ يحي العبدلي.[4]

- زاوية سيجوم:

التي أنشأها المولى ابن عبد الله الأمير الحفصي المستنصر (647هـ-675هـ/1149م- 1277م)في غاية الحسن والإتقان، وعمل فيها جامعا للخطبة ودرس لقراءة العلم وتحفيظ القرآن وأوقف عليها حبسا قويا.[5]

---

[1] – درس الشيخ يحي العبدلي على يد العديد من مشايخ بجاية وعلى رأسهم الشيخ أحمد بن إبراهيم البجائي (ت840هـ/1424م)، أنظر إلى: على مقران السحنوني: هذا الشيخ مجهول أبو زكريا يحي العيدلي، مجلة الدراسات التاريخية، العدد4، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1988م، ص39.

[2] – المرجع السابق، ص39.

[3] – عمار الطالبي: الحياة العقلية في بجاية، الفلسفة، الكلام التصوف، مجلة الأصالة، العدد19، ص172.

[4] – محمد نسيب: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر ، الجزائر، ص169، 219.

[5] – محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص522.

3)المدارس:

ولكون المسجد اوحده لم يستطع أداء الدور التعليمي الذي يتمثل في اقتباس العلوم والمعارف والاستفادة من حضارات الشعوب الأخر[1]لذلك دعت الحاجة إلى إنشاء المدارس[2]في المشرق الإسلامي التي ظهرت في القرن 5هـ، بينما في المغرب الأوسط تأخر ظهورها إلى النصف الثاني من القرن 7هـ/13م،[3] ومن بين هذه المدارس نذكر:

- **مدرسة قسنطينة وبونة:**

عرفت مدينتي قسنطينة وبونة انجازات ساعدتها على انتشار الثقافة وذلك من خلال وجود العديد من السلاطين والأمراء بها[4] الذين كانوا يشجعون على التعليم ويقدمون إغراءات مادية للطلبة بإعطائهم منح على شكل هبات مختلفة وإعطاء النقود أو اللباس أو المؤونة لمدة سبع سنوات كاملة.[5]

فلقد كان الطلاب يلتفون حول كبار علماء المدارس، ولا يكتفون بما يأخذونه من شيوخ مدينتهم في علوم شتى، بل كانوا يلتفون بالعلماء الزائرين والعابرين بحضارتهم ويتتلمذون عليهم، ويأخذون من علمهم ومعارفهم،[6] ومثال على ذلك نذكر المدرسة المروانية بعنابة.[7]

كما أشار ابن الفقون في كتابه منشور الهداية إلى وجود مدرستين بقسنطينة وذكر أن الأولى تأتي على يمين المار من باب الواد وتسمى مدرسة محمد بن أفوناس الفقيه

[1] – سعاد فويال: المرجع السابق، ص17.

[2] – أسماء شنوف وآخرون: المرجع السابق، ص15.

[3] – ابن الشماع: المصدر السابق، ص56.

[4] – عبد العزيز فيلاني: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، ص89.

[5] – الزركشي: المصدر السابق، ص40، 41.

[6] – عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص30.

[7] – رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط3، دار الهدى، الجزائر، ص56.

العالم بمدينة قسنطينة،[1] ودفن بهذه المدرسة أبو حفص الوزان في سنة (ت965هـ/1038م).[2]

وكما أشار أيضا إلى وجود مدرستين قرآنيتين ودعاهما بالمكتب في قسنطينة، منها مكتب الشيخ سيدي علي بن مخلوف[3] (ت 686هـ/1287م).[4]

أما بالنسبة للطلبة ينقسمون إلى فئتين؛ الفئة الأولى تتكون من أبناء المدينة وتكون نفقة هؤلاء على حساب أوليائهم، أما الفئة الثانية وهي التي تتكون من أبناء الريف والغرباء ومن المدن الفائية فتقدم لهم منح ومساعدات من عند الدولة ومن الأوقاف الخيرية، ويقيمون بالغرف التابعة للمدرسة.[5]

إذا إن معظم المدارس تنسب لبيوتات قسنطينة منها مدرسة ابن الخطيب (عائلة ابن القنفذ) التي درس بها الشيخ محمد بن عبد الله الفراوستي سنة (860هـ/1455م).[6]

- **مدارس بجاية:**

أما عن مدارس بجاية فإن إشارات النصوص التاريخية إلى وجودها، إلا أنها أحجمت عن ذكر أسمائها أو أسماء مؤسسيها أو عن أماكن تواجدها ومرد ذلك يعود إما لقلة عددها، أو أنها لم تخص بنفس الرعاية والاهتمام التي أولاها الحفصيون لنظرتها بإفريقية،[7] ومن هذه المدارس نذكر:

[1] – عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص37.

[2] – حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص56.

[3] – عبد الكريم: المصدر السابق، ص70.

[4] – ابن القنفذ: الفارسية، ص29، والوفيات، ص291.

[5] – الزركشي: المصدر السابق، ص40، 41.

[6] – علال بن عمر: المرجع السابق، ص96.

[7] – حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص50.

- **المدرسة السيجومية:**

بناها أبو عبد الله محمد بن أبي فارس الحفصي باسم أحد الصلحاء، وهو الحسن بن عطية بن إبراهيم بن عبد الله السيجومي[1] أحد تلامذة أبي الحسن الشاذلي.

- مدرسة الفلقة:

التي أسسها السلطان محمد المستنصر وأخرى بناها الوزير ابن تافراجين داخل باب السويقة بالقرب من قنطرة ابن ساكن ومدرسة العنق.[2]

كما أورد لنا ابن القنفذ في كتابه "الفارسية": مدرسة ذكر أنه تأنق في بنائها الأمير أبو زكريا (تـ700هـ/1244م) وأقام بها مسجدا وجلب لها الرخام[3] الحسن الشكل البديع المنظر ورتب لها المساكن للطلبة وأوقف عليها حبسا.[4]

أكمل عرض أبيه في ذلك وزاده فرتب لها من الإنفاق لهجرة مجتهدي الطلبة ومحل رحلة قاصدي العلم وحمل لها من الكتب ما تفوق الحصر عددا وحسنا، عظم الله أجر الوالد والولد وجدد لهما الخير والإحسان والرحمة ما بقي إلى الأبد.[5]

- مدرسة زروق البرنسي الفاسي:

كون رزوق البرنسي هذه المدرسة في بجاية وذلك من أجل التصدي للمنحرفين عن تعاليم الدين الإسلامي ومحاربتهم وامتازت هذه المدرسة بمكتبه التي تميزت بتآليفه التي اعتنى فيها بوضع قواعد للتصوف ونشر الوعي الإسلامي.[6]

- مدرسة بجاية الأندلسية:

---

[1] – الزركشي: المصدر السابق، ص101.

[2]– مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص180.

[3] – ابن القنفذ: الفارسية، ص183.

[4] – المصدر نفسه، ص183.

[5] – ابن القنفذ: الفارسية، ص184.

[6] – المهدي البو عيدلي: الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية والتركية وآثارها، مجلة الأصالة، العدد19، ص143، 147.

قام الاندلسيون النازحون من الأندلس ببناء هذه المدرسة في بجاية خلال القرن 7هـ/13م، لقد برز في هذه المدرسة العديد من العلماء منهم:

أبو عبد الله محمد بن الآجار القضاعي (تـ658هـ/1259م) وابن عميره المخزومي (تـ658هـ/1259م) وأبو عبد الله محمد المعروف بابن الجنان (658هـ/1259م) ونذكر أيضا أبو عثمان ابن سعيد الأنصاري البلنسي (654هـ/1256م)[1] واستمرت مدرسة بجاية العلمية وجل أساتذتها طوال القرن 7هـ، وبعده، وازدهرت على يد تلاميذها من ورثة التراث الأندلسي وبثت في سائر الحواضر الإفريقية نهضة علمية زاهرة كان لها الأثر في إحياء العلوم والأدب في المغرب الأوسط ككل.[2]

4)المكتبات:

لقد ساهمت المكتبات في دفع تيار الثقافة بالمغرب الأوسط خلال العهد الحفصي وتم تزويدها بما تحتاجه من مختلف فروع العلم والمعرفة وإسهامها كان بارزا في تنشيط الحركة الفكرية،[3]ولقد انقسمت المكتبات في المغرب الأوسط في العصر الحفصي إلى نوعين: النوع الأول: يدعى بالمكتبات العامة، والثاني: يدعى باسم المكتبات الخاصة[4]

[1] – عبد الله عنان: مدرسة بجاية الأندلسية وأثرها في إحياء العلوم بالمغرب الأوسط، مجلة الاصالة، وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية، العدد13، مطبعة البعث، الجزائر، 1973، ص193.

[2] – المرجع نفسه، ص197.

[3] – محمد حسن العيدروسي: المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الحديث، المغرب، 2009م، ص460.

[4] – المرجع نفسه، ص460.

أ- المكتبات العامة:

كان هذا النوع من المكتبات يُقام في بعض المدارس والزوايا والمساجد، ومثال على ذلك: المكتبة الموجودة في مسجد اللؤلؤة في بجاية التي كانت موجودة فوق قبته وكانت فيها كتب جاءت من البلدان البعيدة، وكتب الأساتذة التي يدرسون بها في هذا المسجد.[1]

ومما زاد في غثراء المكتبات هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب حاملين معهم مكتباتهم، ومصنفاتهم، مما أدى ذلك إلى تنوع الدروس بقسنطينة وبونة وبجاية، ولاسيما في علوم اللغة والشريعة والفقه والحديث والتفسير، والتاريخ والأدب والفلسفة وعلم الكلام والفلك والرياضيات والطب.[2]

ب- المكتبات الخاصة:

ونظرا لما تمثله المكتبة من أهمية لكل حركة فكرية أولى المغاربة اهتماما بهذا الجانب، بما جمعوه من نفائس الكتب في شتى فنون المعرفة التي كانت تسخر بها بيوتات العلماء والأمراء[3] لدرجة أن بعض البيوت اصبحت تزين بالمكتبات الخاصة بها وتسخر خزائنها بالمجلدات وامهات الكتب والمصنفات العديدة، وحتى الذين لم يكن لديهم دراية بهذه الكتب قاموا بشرائها، وربما تعود هذه الظاهرة الثقافية النشطة إلى الوعي الذي كان يسود أسر المدينة وأعيانها، وكذلك الموقع الذي تمثله مناطق المغرب الأوسط كقسنطينة وبجاية وبونة.[4]

ومن المكتبات الخاصة التي ظهرت خلال القرن 7هـ/13م: مكتبة أسرة آل الفكون: بمدينة قسنطينة حيث اعتنت بتكوين مكتبة خاصة احتوت على ما يزيد من 4000مجلد

[1] – رشيد بوروبية: المرجع السابق، ص108، 109.

[2] – عبد العزيز فيلالي: محمد الهادي لعروق مدينة قسنطينة (دراسة التطور التاريخي والسياسي)، ص71، 72.

[3] – ابن الشماع: المصدر السابق، ص57.

[4] – عبد العزيز فيلالي: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، ص90.

من أمهات الكتب،[1] ومكتبة أسرة ابن باديس وعبد المؤمن، وكذلك احتواء الجامع الأعظم على مكتبة حسب شهادة العبدري.[2]

والجدير بالذكر أن خزانات الكتب كانت تخضع إلى نظم وقوانين خاصة فرضها المحبوسون منها بعدم إخراج الكتب، ويفضل أن يطلع عليها الطلاب داخل المسجد، غير أن هذه الشروط أسقطها الأساتذة بتدخلهم في إخراجها لأنفسهم ولغيرهم.[3]

فضلا على ما هو متداول بين الطلبة من كتب على سبيل الإعارة ساء من عند شيوخهم أو زملائهم من كتب متخصصة في الدراسات القرآنية، الفقهية والادبية والصوفية.[4]

5)الكتاتيب:

الكتاتيب أو المكاتب جمع كتاب، وهو موضع تعليم الكتاب للصبيان، ويقال له أيضا المكتب، هو تحريف لكلمة مسجد صغير.[5]

وتعد الكتاتيب من أقدم المؤسسات العلمية التي ساهمة في التعليم، فالكتاتيب عرفة منذ عصور الإسلام الأولى وإلى يومنا هذا، حيث لا يخل منه شارع ولا حي من الأحياء في المدن والقرى، فالكتاتيب تعد النواة الأولى في العملية التعلمية.[6]

ولقد شهدت بجاية كغيرها من حواضر المغرب الإسلامي، ظهور هذا النوع من المركز العلمية، حيث كان الهدف الأسمى من إيجاد تلك الكتاتيب، تنشئةُ الصبيان تنشئةً دينية قوية تقوم على أساس حفظ كتاب الله، أو جزء منه، بالإضافة إلى الإلمام بقواعد

[1] – عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص135.

[2] – العبدري: المصدر السابق، ص24.

[3] – المصدر نفسه، ص25.

[4] – الغبريني: المصدر السابق، ص141، 25.

[5] – أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور :لسان العرب, دار صادر , بيروت,مج1,ص699.

[6] – يوسف بن أحمد الحوالة: الحياة العلمية في إفريقية منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري(90 – 450هـ)، ط1، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2000م، ج1، ص 51، 52.

اللغة العربية، وبعض مبادئ الشريعة، كتعليم أركان الصلاة والصوم مع شيء يسير من علوم اللغة والنحو ومبادئ الحساب.[1]

فجل ما نعرفه عن بجاية كانت كتاتيب، لها دور علمي ملحوظ، كون بجاية كانت حاضرة من الحواضر العلمية، إلا أن الغبريني لم يذكرها سوى مرة واحدة عند ترجمته لشيخه أبو الحسن علي بن محمد الزواوي، حيث ذكر أنه لقيه وفرح به حيث مسح على رأسه وقرأ عليه، وكان الغبريني آنذاك تلميذا في الكتاب.[2]

قد كانت مؤسسة الكتاب هي النواة الاولى للحركة التعليمية بمدينة قسنطينة منها انطلقت المدارس وتطورت، والكتاتيب أقل وحدة للتعليم الابتدائي، ويسمى أحيانا المكتب، وينقسم الكتاب إلى قسمين، منه ما هو خاص، ومنه ما هو عام، الخاص لذوي البيوت العريقة وأبناء رجال السلطة وأصحاب النفوذ، أما العام فكان مخصصا للعوام من الناس البسطاء منهم.[3]

ولم تحفظ لنا المصادر التاريخية أسماء الكتاتيب التي كانت منتشرة بالمدينة، وربما عدتها من جملة المدارس، ولكنها أشارت إليها عن طريق ذكرها للمرحلة الأولى للتعليم الابتدائي، وهو تعليم الأطفال، وقد كانت هذه المرحلة من التعليم مرتبطة بالكتاب.[4]

وتكمن أهمية الكتاب في تعليم مبادئ القراءة والكتابة للأطفال، وهي المرحلة الأولى من تعليمهم، وتبدأ من سن السادسة أو السابعة[5]، ثم تعليمهم فنون الخط وجمالياته ثم تحفيظ القرآن الكريم وتجويده، وتحفيظهم أصول القرآن، وقد جرى العمل على اجتماع الصبيان لتلاوة آيات القرآن الكريم بصوت واحد على وجه التعليم علاوة على الإمام

[1] – يوسف بن أحمد الحوالة: المرجع السابق، ص227.

[2] – المرجع نفسه، ص228.

[3] – أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، 276، 277.

[4] – عبد العزيز قيلالي: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، ص108.

[5] – المرجع نفسه، ص108.

ببعض علوم اللغة والنحو والفقه[1]وإضافة إلى تعليم القرآن وما يتعلق به من علوم فإنه قد يتعدى التعليم في بعض الأحيان في الكتاب إلى الرسم والحساب، ورواية الشعر وشيء من الأخبار أي التاريخ.[2]

II. الوراقة ونسخ الكتب:

1)الوراقة:

لما توسعت الدولة الإسلامية مشرقا ومغربا وما تابع ذلك من ظهور مظاهر الحضارة المختلفة،[3] حيث أصبح الاهتمام بالوراقة في المغرب الأوسط كبيرا، فكانوا يعينون لها أماكن خاصة ببيع الكتب والتي أصبح لها أسواق خاصة بها،[4] فانتشرت بذلك حوانيت الوراقين والتي فتحت في الأصل لأغراض تجارية إلا أنها تحولت إلى مسرح للثقافة والحوار العلمي، حيث لم يكن بائعو الكتب مجرد تجار يبتغون الربح فقط، وإنما كانوا على الأغلب أدباء ذوي ثقافة واسعة، كما أن اختيارهم لهذه المهنة كان بسبب ارتباطهم بمجال العلم والقراءة والاطلاع فحفلت كتب الأدب والتراجم بالعديد من المناقشات العلمية والأدبية وكثرت المناظرات بين العلماء والفقهاء الذين يجتمعون في تلك الحوانيت،[5] فالوراقة تطورت وازدهرت في قسنطينة وبجاية وعنابة بنزوح الأندلسيين إليها.[6]

2)نسخ الكتب:

[1] – كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص114.

[2] – المرجع نفسه، ص115.

[3] – ابن خلدون: المقدمة، ص467.

[4] – تقع سوق الوراقين بمدينة قسنطينة من الناحية الشرقية أي في الحي المعروف بالوقت الحاضر باسم الشارع، ينظر: عبد العزيز فيلالي: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، ص115.

[5] – محمد محسين محاسنة: أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات، ط1، 2000م، 2001م، ص143.

[6] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص751.

لم تكن تجارة الكتب هي الوسيلة الوحيدة لاقتنائها فقد تنوعت طرق ذلك ومنها الاستنساخ والنسخ، ذلك أن الحرصين على جمع الكتب كانوا ينسخون الكتب بأنفسهم أو يستنسخون غيرهم، مثل تلاميذهم إن كانوا معلمين أو كتابهم إن كانوا أمراء فينسخون لهم بخط أيديهم.[1]

وقد أعطى الأمراء عناية كبيرة بجمع الكتب ونسخها، فمنهم الخليفة أبو حفص عمر المرتضي (ت665هـ/1267م) الذي كان خطاطا بارعا، أبى إلا أن يشارك في نسخ الكتب، ولا يزال يوجد بخطه أثران جليلان: ختمة قرآنية كانت في عدة أجزاء كتبها عام 654هـ/1256م، ونسخ من الموطأ للإمام مالك بن أنس في سفرين استنسخها بخطه.[2]

ومما ساهم في تطور النسخ تأثرهم بالخط الاندلسي، فظهر منهم الخطاطون والناسخون، وارتبط خطهم بالخط الأندلسي الذي طغى على الخطوط المغربية الأخرى حتى قال ابن خلدون عن ذلك: ((نسي خط القيروان والمهدية بنسيان عوائدهما وصنائعها وصارت خطوط أهل إفريقية كلها على رسم الأندلس)).[3]

ومن الأندلسيين الذين كان لهم أثر في ذلك الكاتبان المشهوران اللذان عاشا معظم حياتهما ببلاد المغرب، ابن الآبار (ت658هـ/1959م) وأصله من بلنسية، وأبو المطرف أحمد بن عمير المخزومي الذي قال عنه ابن القنفذ: ((رئيس الأدباء وكبير العلماء وعلامة عصره)).[4]وعمل في بلاط أبي زكريا الأول (626هـ-647هـ/1228م- 1249م) والمستنصر (647هـ- 675هـ/1249م- 1276م).[5]

[1] – أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص289.

[2] – محمد المنوفي: تاريخ الوراقة المغربية، ط1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1991م، ص36.

[3]– ابن خلدون: العبر، ج6، ص 751، أنظر الملحق رقم: 1.

[4] – ابن القنفذ: الفارسية، ص60.

[5]– روبار برونشفيك: المرجع السابق، ج2، ص420.

وقد اشتهرت قسنطينة ببعض النساخ والمخططين حتى قارنهم ببعض الكتاب بالخطاط الفارسي ابن مُقْلة الشيرزادي (تـ328هـ/939م) في حسن الخط، ومن هؤلاء أبى زكريا يحي بن وحاد الكومي القسنطيني (عاش في القرن 8هـ/14م) وكذا الشيخ أبى زيد عبد الرحمان بن الحجر (عاش في القرن8هـ/14م) الذي كتب مدة طويلة بتونس في عهد السلطان خالد بن أبي إسحاق.[1]

وقد ذكر ابن الفكون اهتمام علماء قسنطينة بالنسخ والاستنساخ، عندما أشار إلى قصة استنساخ تأليف البرزلي (تـ844هـ/1440م) الذي نسخ القاضي ابن عبد الرفيع الحفيد (عاش في القرن 9هـ/15م) بقسنطينة بعد أن استأجر النسخة الأصلية وهي الوحيدة في المدينة من الشيخ يحي الفكون (تـ941هـ/1534م) ونسخها بخط يده.[2]

وقد عرقة مدينة بجاية نسخ المؤلفات بمختلف أنواعها وأشكالها حيث أورد لنا الغبريني نموذجا من إهتمام علماء بجاية بهذه الصناعة[3]، فيقول عن العالمة عائشة البجائية بنت أبى الطاهر عمارة بن يحي الشريف الحسني أنها كانت تتميز بخط جميل فكانت تنسخ الكتب، ومن ذلك كتاب "يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر" لأبي منصور الثعالبي (تـ429هـ/1037م) حيث يصف الغبريني هذه النسخة بالجودة والحسن.[4]

[1] – ابن القنفذ: الفارسية، ص179.

[2]– عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص42.

[3] – الغبريني: المصدر السابق، ص79.

[4] – المصدر نفسه، ص80.

وكحديثه عن الفقيه أبى محمد عبد الحق بن ربيع الأنصاري البجائي (ت675هـ/1286م)[1] حيث ذكر أنه كان خطاطا بارعا وكانت له خطوطا جميلة، فكان يكتب بجميع الأنواع المشرقية والمغربية دون أن يخلط هذا الخط مع غيره من الخطوط.[2]

لقد كانت هذه أهم عوامل نمو الحركة العلمية والفكرية ببجاية بفضل مساهمة السلاطين الحفصيين وعنايتهم الفائقة برجال الفقه والأدب والثقافة وبفضل ما كانوا يجودون به عليهم من منح ومساعدات للرقي بالمستوى العلمي بحاضرة بجاية.[3]

[1] – فقيه صوفي ولد ببجاية وقرأ بها، برع في العديد من العلوم كالفقه وأصوله، وأصول الدين والتصوف، والفرائض، تخطط بالعدالة ووالي قضاة ببجاية، أنظر: الغبريني: المصدر السابق، ص85.

[2] – المصدر نفسه، ص86.

[3] – السعيد عقبة: المرجع السابق، ص55.

الفصل الثالث

التعليم والعلوم في المغرب الأوسط

I. التعليم في المغرب الأوسط (بجاية، قسنطينة، بونة).

II. العلوم في المغرب الأوسط (بجاية، قسنطينة، بونة).

I. التعليم في المغرب الأوسط (بجاية، قسنطينة، بونة):

جاء في القرآن والسنة، الكثير من الآيات والأحاديث، التي حثت على العلم، فكان أول ما نزل في القرآن الكريم هو قوله تعالى:« اقرأ باسم ربك »[1] لهذا حظي التعليم باهتمام أهل المغرب الأوسط خاصة في العهد الحفصي، وقد ارتبط التعليم بالكتاتيب والمساجد والزوايا والمدارس، كما قال أبو حامد الغزالي "إن التعليم والتعلم هما أعظم العبارات في الدنيا". [2]

1) أنواع التعليم:

إن الحفصيين هم الذين أدخلوا خلال القرن 7هـ/13م نظام التعليم المدرسي الذي كان معروفا من قبل في المشرق وقد انقسم إلى نوعين هما:[3]

أ- داخلي: وهو مخصص لمن يرجع إلى منزله بعد دوام الفترة الصباحية ثم يعود لمواصلة تعليمه مساء.[4]

ب- خارجي: كان هذا النوع من التعليم مخصص للغرباء الذين لا تساعدهم أحوالهم المادية على العيش اعتمادا على نفقات أوليائهم فكان هؤلاء يتناولون الطعام وتهيأ لهم غرف النوم ويقتنون الكتب مجانا دون دفع أي ثمن ومثال ذلك في قسنطينة مدرسة آل الفكون التي كانت قبلة لطلبة المغرب خاصة أواخر العهد الحفصي وفي العهد العثماني حيث كان الطلبة يقصدونها من قسنطينة أو من غيرها من الحواضر المغربية الأخرى، وكانت المدرسة في

[1] – سورة العلق: الآية01.

[2] – أبو حامد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ج2، ص236.

[3] – محمد حسن العيدروسي: المرجع السابق، ص212.

[4] – عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص89.

قسنطينة تأوي الطلبة الخارجيين الذين يأتون لإقامة قصيرة أو طويلة بها من أجل طلب العلم.[1]

2) **مراحل التعليم:**

كان التعليم في المغرب الأوسط يمر بثلاثة مراحل:

- **المرحلة الأولى:** يذهب التلميذ إلى الكتاب في المرحلة الأولى في سن السادسة يتعلم فيها القراءة والكتابة وحفظ القرآن والحديث الشريف وبعض القواعد العامة والخط، ويلاحظ أن التعليم في هذه المرحلة قد احتكره شيوخ الأندلس، ولذلك أصبحت الطريقة الأندلسية لتحفيظ القرآن وتدريسه هي السائدة في المدارس الإفريقية الحفصية وذلك لكثرة المهاجرين الأندلسيين إليها في بداية العهد الحفصي،[2] يضيف **ابن خلدون** في هذا الصدد قوله:" وأما أهل إفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها إلا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان إياه ووقوفهم على اختلاف روايته وقراءته التي ممن سواه وعنايتهم بالخط لذلك وبالجملة فطريقتهم في تعليم القرآن أقرب إلى طريقة أهل الأندلس".[3]

- **المرحلة الثانية:** فقد كان الطلبة يدرسون فيها قواعد النحو والأدب والفقه وروايات القرآن لتمكنهم هذه المواد من بلوغ مستوى ثقافي وتعليمي معتبر يمكنهم من الوقوف عند معرفة تعاليم الدين وأصوله والإلمام بالعلوم الإنسانية.[4]

[1] – عبد الكريم الفكون: المصدر السابق ، ص89.

[2] – ابن القنفذ: الفارسية ، ص25

[3] – ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: سهيل زكار، دار الفكر، 2001م، ج6، ص751.

[4] – عبد العزيز الفيلالي: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، ص98.

- **المرحلة الثالثة:** يتلقى الطلاب في هذه المرحلة العلوم الدينية بشيء من التعمق والتوسع كعلوم التفسير وفن القراءات والفقه والتوحيد والحديث ومختلف العلوم الاجتماعية في ذلك الوقت كالأدب واللغة والفلسفة والتاريخ وغيرها بمزيد من التفصيل، وقد كان في التدريس في هذه المرحلة كثيرا ما يشهد منافسة بين علماء أهل الأندلس وعلماء إفريقية لأن التعليم في هذا المستوى يجلب لصاحبه الاحترام والجاه والمكانة الاجتماعية المرموقة والثراء والنفوذ.[1]

3) طرق التعليم:

إن طريقة التدريس في هذه الفترة الظاهر أنها كانت تختلف من مدرسة إلى أخرى ومن شيخ إلى آخر باختلاف المدارس العلمية والفكرية التي تعلم فيها علماء هذا العصر ففي قسنطينة كان أسلوب اللقاء والشرح والتلقين السائد في المدارس كما هو سائد في المدارس المغربية أيضا وهي طريقة تقليدية يكون فيها دور الطالب سلبيا يعتمد على الاستماع والحفظ، وعندما قدم شيوخ الأندلس أدخلوا على أسلوب التدريس طريقة تعتبر حديثة في ذلك الوقت يعتمد فيها الحوار (أي المحاورة) والمناقشة والتعمق في التحليل والبحث والتعليل يشارك فيها الطالب بما يقدمه من أبحاث وآراء حتى يتسنى له استيعاب الموضوع وإدراكه وفهمه،[2] كما يكلف الطالب بالأبحاث وبالإنشاء وبالتحرير لتوسيع نطاق معارفه وكان الأساتذة يحثون الطلاب على الجد والاجتهاد من وقت صلاة الفجر إلى وقت صلاة العصر، وهي المدة الزمنية اليومية المقررة للدراسة ويستريح الطلاب يومين في الأسبوع يوم الخميس ويوم الجمعة، كما كانوا يحثونهم على الصبر والعمل الجاد لفهم مالا يسهل فهمه بالتصفح

[1] – عبد العزيز الفيلالي: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، ص99.

[2] – المرجع نفسه، ص103.

الدقيق لأمهات الكتب والقراءة المتأنية وأن يقتادوا بنصيحة الإمام الغزالي الذي يقول فيها: "... فنصيحة في تخشين خير من خديعة لين...".[1]

أما عن الأسلوب المعروف في التعليم الابتدائي العالي أو الثانوي العالي ببجاية أول القرن الثامن هجري يعتمد على طريقة الإلقاء والتحاضر ولا يخلط الأستاذ الحوار فيه إلا نادرا ولما عاد ناصر الدين اللفاتي أتى بطريقة جديدة في تدريس الفقه تعتمد على التوسع في بحث الموضوع وفتح باب المناقشة والحوار في آخره وقد شكر ابن خلدون هذه الطريقة وأثنى عليها لأنها طريقة تفتح الذهن وتطلق اللسان وتبذر الحيوية في نفوس الطلاب.[2]

4) مناهج التعليم:

إن المنهج التعليمي ينطبق على مختلف الحواضر المغربية عامة والحواضر الحفصية بصفة أخص ومنها مدينة قسنطينة لأن سياسة التعليم في هذه الفترة كانت موحدة وأن برنامج المنظومة التربوية متقاربة في نظامها وبرامجها فالمواد الدراسية يغلب عليها الطابع الديني أي أنها ذات صبغة إسلامية تتلاءم مع روح ذلك العصر تدرس في كل من قسنطينة وبجاية وتلمسان وفاس،[3] وكانت تعتمد أساسا على الإملاء والإلقاء والشروح مع عدم اللجوء إلى النقاش والتحليل إلا في حالات نادرة وبالتالي فقد اعتمد التدريس على كتب المختصرات والتلخيص والحواشي والشروح.[4]

[1] – عبد العزيز الفيلالي: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط ، ص103.

[2] – رابح بونار: المرجع السابق، ص312.

[3] – ابن القنفذ: الفارسية ، ص56.

[4] – حساني مختار: الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية ، ج1، 218.

5) تعليم المرأة:

قد كانت المرأة في المغرب الأوسط حتى في الأوساط الحضرية غير متعلمة في أغلب الأحيان وكانت الصبيات اللواتي يترددن على "دار المعلمة" يتعلمن الغزل والخياطة كما كانت تلك المعلمة تعلمهن بعض التعاليم الدينية ولم يتجاوز تعليمهن عادة ذلك الحد وربما كان بعض الثريات يتعلمن في البيت بعض المبادئ الأولية[1] وقد كانت صرامة المدرسة الفقهية في القرنين 8هـ و9هـ / 14م و15م تحجر على النساء الخروج لحضور بعض الاجتماعات الدراسية أو بعض الجلسات الدينية فلم يكن هذا التحجير يسمح حينئذ بتشجيع تطور النساء ثقافيا ودينيا وخلال القرن7هـ/13م سمحت بجاية لنفسها بانتساب الشاعرة عائشة إليها وهي ابنة أحد الأشراف المتضلعين في الفقه، ومع تفاقم هيمنة المذهب المالكي الصارم لم تعد المصادر تشير أبدا إلى هذا الصنف من النساء المثقفات[2]،وقد كان للفتيات في المغرب الأوسط أيضا دور في التعليم فقد استقبل معهد سيدي التواتي –الذي لايزال أثره لحد الآن– مجموعة من الفتيات تخصص البعض منهن في علم الفلك[3] ومثال ذلك نرى بأن الحسن بن علي 694هـ/1294م والد ابن القنفذ لم يقتصر على تعليم إبنه فقط بل نراه يعلم بناته أيضا فخصص لهن الشيخ أبا عبد الله الصفار (ت 750هـ 1349م) يعلمهن القرآن ولم تفارقه إحداهن حتى ختمت وكررت ثلاث مرات وقرأت عليه رسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه وقد انتفع بها والدها بعد ذلك كثيرا في مقابلة الكتب وغيرها.[4]

---

[1] – روبار برشفيك: المرجع السابق، ج2، ص374.

[2] – المرجع نفسه ، ج2، ص374.

[3] – إكسان حسن: جوانب من التعليم في المغرب الوسيط من ق7هـ/13م إلى ق9هـ/15م، رسالة لنيل ديبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1988م، ص114.

[4] – ابن قنفذ: شرف الطالب في أسنى المطالب، تح: عبد العزيز صغير دخان، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 2003م، ص20.

II. العلوم في المغرب الأوسط (بجاية، قسنطينة، بونة):

1) العلوم النقلية:

1.علوم القرآن والتفسير:

يقول ابن خلدون عن التفسير: ((وأما التفسير، فاعلم أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه، ويعلمون معاينته في مفرداته وتراكيبه وكان ينزل جملا جملا، آيات وآيات، لبيان التوحيد والفروض الدينية، حسب الوقائع في العقائد الدينية، ومنها ما هو في أحكام الجوارح، ومنها تقدم ومنها ما تأخر ويكون ناسخا له...ثم صارت علوم اللسان صناعية من الكلام في موضوعات اللغة واحتكام الإعراب والبلاغة في التراكيب، فوضعت الدواوين في ذلك، بعد أن كانت ملكات لا يرجع فيها لنقل ولا كتاب فاحتاج ذلك لتفسير القرآن، لأنه بلسان العرب وعلى مناهج بلاغتهم.[1]

ويعرف علماء اللغة التفسير كمصطلح بأنه الكشف والإظهار والبيان، بحيث يصبح الكلام لا يعتريه الغموض والضبابية، والتفسير في الاصطلاح هو علم يعرف به نزول الآيات، وشؤونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها.[2]

وقد انقسم التفسير إلى قسمين:

– **تفسير نقلي:** وهو ما يسند إلى الآثار المنقولة عن السلف، وهي معرفة الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل على الصحابة والتابعين.

[1] – ابن خلدون: المقدمة، ص319.

[2] – المصدر نفسه، ص310.

– **والنوع الآخر من التفسير** هو الذي يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب.[1]

ولقد كان اهتمام علماء بجاية كبيرا بقراءة ودراسة علوم القرآن وتفسيره، وقد ذكر الغبريني العديد منهم ممن اهتموا بعلم تفسير القرآن من بينهم العالم أبي يحي زكريا الزواوي (ت611هـ/1214م) ودرس بالجامع الأعظم ببجاية علم التفسير إضافة إلى العالم الفقيه في أبو إسحاق بن العرافة البجائي (ت675هـ/1276م) الذي فسر القرآن الكريم وقام بتدريسه.[2]

2.علم الفقه والحديث:

أ الفقه:

يعرفه ابن خلدون بأنه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحضر والندب والكراهة والإباحة وهي منتقاة من الكتاب والسنة وما بصبه الشارع بمعرفتهم من أدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه.[3]

ومن بين علماء بجاية الذين عاصروا الدولة الحفصية أبو يوسف يعقوب بن يوسف الزواوي المنجلاتي (ت690هـ/1290م) وكان فقيها حافظا مستبحرا في حفظ المسائل والفروع، وله معرفة واسعة وإلمام بالفقه وأصوله، تولي وظيفة القضاء ببجاية.[4] والفقيه الشيخ محمد أبي القاسم بن محمد عبد الصمد المسندالي فكان يضرب به المثل فيقال: "أتريد أن

[1] – عيسى بن الذيب: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، د ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م، ص139، 140.

[2] – الغبريني: المصدر السابق، ص08.

[3] – ابن خلدون: المقدمة، ص484.

[4] – المصدر نفسه، ص335.

تكون مثل أبي عبد الله المسندالي" حيث كان خطيبا بالجامع الأعظم ببجاية وإماما كبير مقدما على أهل عصره في الفقه.[1]

ومن علماء قسنطينة نجد والد ابن القنفذ حسن بن علي بن القنفذ (ت750هـ/1349م) وله كتاب في النوازل الفقهية سماه "المسائل المستطردة في النوازل الفقهية"، كما ألف ابن قنفذ الخطيب العديد من المؤلفات الفقهية حتى عدّ من الفقهاء المجددين والمجاهدين في المذهب المالكي ومنها: تقريب الدلالة في شرح الرسالة.[2]

ب علم الحديث:

الحديث هو المصدر الثاني للتشريع الإسلامي في الدولة الإسلامية وهو علم تعرف به أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، وهو مرادف للسنة، كما أنه أصل من أصول التشريع الإسلامي ومرتبته تلي مرتبة القرآن الكريم في الاستدلال ويشمل موضوعين رئيسيين، علم الحديث رواية وعلم الحديث دراية.[3]

ولقد شهدت بجاية في القرن 7هـ/13م ازدهارا كبيرا في علوم الحديث، حيث اعتنى البجائيون بهذا العلم باعتباره مصدرا مهما من مصادر التشريع الإسلامي، فانتشرت المصنفات الحديثة بين طلبة بجاية مثل الموطأ للإمام مالك بن أنس (ت179هـ/796م) وكتاب المسند الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج القشيري (ت261هـ/874م) والكتاب الجامع للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ/869م).[4]

[1] – بدر الدين القرافي: توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تح وتق: أبو أحمد الشتيوي، ط1، دار الغرب، الإسلامي من بيروت، لبنان، 1983م، ص25.

[2] – ابن القنفذ: الفارسية، ص45.

[3] – محمد عجاج الخطيب: الوجيز في علوم الحديث ونصوصه، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1889م، ص7.

[4] – الغبريني: المصدر السابق، ص111، 314.

ونجد كذلك من علماء قسنطينة ابن القنفذ الذي ألف كتاب "شرف الطالب في أسنى المطالب"[1] وقد ألف أيضا كتاب "أنوار السعادة في أصول العبادة" وهو شرح لقوله صلى الله عليه وسلم: ((بني الإسلام على خمس...)) وذكر في كل قاعدة من القواعد الخمس أربعين حديثا وأربعين مسألة.[2] وكذلك من ضمن تأليفه "علامة النجاح في مبتدئ الإصلاح".[3]

3.العلوم اللسانية:

أ- علوم اللغة العربية (علم النحو):

إن لعلوم اللغة العربة أهمية كبرى في مجال النشاط العقلي، فاللغة العربية هي اللغة الرسمية لأنها لغة القرآن الكريم.[4]

- **النحو:** لقد اهتم العلماء بهذا العلم لأنه يرتبط ارتباطا وثيقا بعلوم الدين، ثم قاموا بتدريسه.[5]

والنحو هو علم يتبين به أصول المقاصد بالدلالة، فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجهل أصل الإفادة، فذلك كان علم النحو أهم من اللغة لأن في جهله الإخلال بالفهم الجملة، وكانت معرفة النحو ضرورية لفهم الكتاب والسنة فهما صحيحان.[6]

ومن بين العلماء الذين برعوا في علوم اللغة العربية بمختلف فنونها أبو عبد الله محمد ابن الحسن ابن علي بن ميمون التميمي (ت673هـ/1284م) الأستاذ النحوي اللغوي استوطن

[1] – ابن القنفذ: شرف الطالب، ص54.

[2] – ابن القنفذ: الفارسية، ص79.

[3] – ابن القنفذ: شرف الطالب، ص45.

[4] – الغبريني: المصدر السابق، ص270.

[5]– الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1985م، ص80.

[6] – روبار برشفيك: المرجع السابق، ج2، ص383.

بجاية وبها قرأ ودرس، فبرع حيث كانت تقرأ عليه جميع الكتب النحوية واللغوية والأدبية من طرف طلبته ومن مؤلفاته "الموضح في علم النحو" و"حدق العيون في تنقيح القانون"،[1] وبرز في قسنطينة العديد من الدارسين للنحو منهم أبو جميل إبراهيم بن قائد الزواوي القسنطيني (ت857هـ/1453م) ومن نظمه في ذلك أرجوزة في النحو بلغت مائة وخمسة أبيات قصد بها كما قال إفادة الناشئة.

وكذلك نجد أبا إسحاق إبراهيم (751هـ-770هـ/1350م-1368م) الذي به شرح ألفية ابن مالك وتلخيص المفتاح، ويعتبر أشهر من اهتم بالدراسات النحوية في إقليم قسنطينة بعد ابن القنفذ.[2]

ب- العلوم الأدبية (النثر والشعر):

- **النثر:** وقد عرفه ابن خلدون في مقدمته قال: النثر هو الكلام غير الموزون، منه السجع الذي يؤتي به قطعا، ويلتزم في كلمتين منه قافية واحدة، ومنه هذا المرسل الذي يطلق فيه الكلام، ولا يقطع أجزاء بل يرسل إرسالا من غير تقييد بقافية لا غيرها، ويستعمل في الخطب والدعاء لترغيب الجمهور.[3]

وتمثل ازدهار النثر الفني بما إمتازت به رسائل العهد الحفصي والتي حافظت على أسلوبها المستفيض والمتكلف مع استعمال لغة كثيرة المفردات وقليلة التعابير المضبوطة وأساليب السجع والقافية لم تكن كافية، فالتجأ الكُتاب إلى الحشو والغموض، والتكلف ولم

[1] – روبار برشفيك: المرجع السابق، ج2، ص385.

[2] – علال بن عمر: المرجع السابق، ص158.

[3] – ابن خلدون: المقدمة، ص665.

يكن ديوان الرسائل الحفصية أقل في هذا الميدان من ديوان الإنشاء في غرناطة أو القاهرة.[1]

فمن هذا المنطلق ظهر في بجاية في القرن 7هـ/13م العديد من العلماء والأدباء الذين جمعوا بين أصناف عديدة من الأدب كأبي الحسن، عبيد الله النفزي الشاطبي (ت642هـ/1244م) حيث كان أديبا بارعا وصفه الغبريني "بأنه كان من أهل العلم مستبحرا في علم العربية واللغة والأدب، له شعر بارع وأدب غض يانع".[2]

- **الشعر:** هو بليغ مبني على الاستعارة والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده.[3]

وقد تطور وازدهر الشعر في عصر الدولة الحفصية ومنه ظهر شعر الزهد والتصوف والمدح وغيرها من الأغراض وهذه أمثلة عنها:

– **المديح النبوي:** لقد حظي مديح خير الأنام سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم باهتمام كبير من طرف الشعراء حيث نظموا عدة قصائد في شخصه صلى الله عليه وسلم، وصفاته والإشادة بمعجزاته، ومن هؤلاء أبو بكر محمد بن سيد الناس الأشبيلي (659هـ/1260م) الذي قال في مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم، والشوق لزيارة قبره، كما قال في قصيدته التي اعتمد فيها بحر الطويل:

أيا سائرا نحو الحجاز وقصدي *** إلى الكعبة البيت الحرام بلاغ

ومنه إلى قبر النـــبي مـــحمد *** يـــكون بالروضـــــتين مراغ[4]

[1] – أحمد بن عامر: المرجع السابق، ص222.

[2] – الغبريني: المصدر نفسه، ص176.

[3] – ابن خلدون: المقدمة، ص672.

[4] – الغبريني: المصدر السابق، ص248، 249.

- **شعر الزهد:** وتضمن دعوة إلى الزهد وترك الدنيا ونزواتها، والتذكير بالموت والآخرة والإقبال على العمل الصالح، ومن الشعراء الذين برعوا في هذا الغرض أبو محمد عبد الحق الإشبيلي (ت582هـ/1186م)، قال في قصيدته التي اعتمد فيها على بحر البسيط:

يا آمن الساحة لا يذعر *** بين يديك الفزع الأكـبر

المرء منصوب له حتفه *** لو أنه من عمله يبصر[1]

- **شعر التصوف السني:** امتاز أصحاب هذا التيار بالتزام بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وذلك بالدعوة إلى الله والتفكير في اليوم الآخر والزهد في الدنيا، حيث اعتمدوا في ذلك على عدة أساليب، كالوعظ والتذكير، ومنهم من تبنى أسلوب التخويف والترهيب في دعوته إلى الله، كما نهج فريق آخر منهج المجاهدات النفسية، وذلك بكثرة الصيام وإطالة القيام والتهجد، والتقليل من المأكل والتقشف في أمور الدنيا والزهد فيها. واعتمد على بحر الكامل في هذه الأبيات:[2]

الله قل وذر الوجود وما حوى *** إن كنت مرتادا بلوغ كـــمال

فالكل دون الله إن حققـــــته *** عدم على التفصيل والإجمال

فالعارفون فنوا ولم يشهـــــدوا *** شيئا سوى المتكبر المتــعال[3]

[1]- أبو جعفر أحمد ابن الزبير: صلة الصلة، تح: ليفي بروفنسال، د ط، المطبعة الاقتصادية، الرباط، المغرب، 1938م، ص07.

[2] - الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين 12و13 الميلاديين، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2004م، ص101.

[3] - المرجع نفسه، ص102.

وقد أقر ابن باديس في سينيته بضرورة اللجوء إلى الصوفية في فري الأزمات، وهو ما ذهب إليه أبي الفضل النحوي (ت513هـ/1119م) في قصيدته المشهورة "المنفرجة"[1] وهي من شعر التوسلات الذي يذهب الحزن ويكشف الكرب،[2] وذلك في قوله:

فكم كُربه أجلى الإله بجاههم *** وكم رقبة أعلى وأولى من الأوس[3]

ومن علماء المدينة المتصوفين أيضا نذكر شيخ المريدين أبا الحسن على بن محمد بن يوسف الأنصاري الأندلسي السراج قال عنه ابن القنفذ: ((من إخوان جدي للأم شيخ المريدين الفقيه الصالح العارف ببلدنا كان كثير الزيادة له بملارة، وتوفي في قسنطينة في حدود (746هـ/1345م)[4] كما ذكر أيضا الشيخ أبو عبد الله محمد ابن أبي محمد عبد الله الصفار (ت750هـ/1349م) الذي كان صديقا لبيت القنفذي مبجلا لعلمائه، ممتحنا مذهبهم الصوفي.[5]

- **شعر التصوف الفلسفي:** يعتمد شعر التصوف الفلسفي على الرمزية والإشارات والإيحاءات في أشعارهم الغامضة والصعبة، وله عدة إتجاهات من بينها اتجاه الوحدة المطلقة واتجاه وحدة الوجود[6] ومن شعراء هذا النوع نذكر أبو محمد عبد الحق بن الربيع البجائي (ت675هـ/1276م) الذي قال في قصيدته التي كانت ببحر الكامل:

سفرت على وجه الجميل فأسفر *** وبدى هلال الحسن منها مقمرا

ودنت فكاشفت القلوب بســرها *** وسقت شراب الأنس منها كوثرا

[1] – علال بن عمر : المرجع السابق، ص125.

[2] – رابح بونار: المرجع السابق، ص271.

[3] – علال بن عمر: المرجع السابق، ص125.

[4] – ابن القنفذ: أنس الفقير، ص48.

[5] – المصدر نفسه، ص45.

[6] – السعيد عقبة: المرجع السابق، ص164.

ورأيتها في كل شيء أبصرت *** عيناي حتى عدت كل مبصرا [1]

ت- التصوف والعلوم الاجتماعية:

• **التصوف:** مصطلح التصوف مشتق من الصفاء أو من الصفة وهو من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصلها العكوف على العبادة والإنقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها.[2]

والأصح أنها مشتقة من الصوف وهم في الغالب يختصون بلبسه.[3]

كما عرفت حضارة بجاية العديد من العوامل والإرهاصات الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية كان لها الأثر البليغ في ظهور الحركة الصوفية في بجاية، ويذكر الغبريني أثناء ترجمته لصوفية بجاية الكثير من هذه العوامل التي تمثلت في عوامل دينية وسياسية وأخرى اقتصادية واجتماعية.[4]

• **العلوم الاجتماعية:**

- **علم التاريخ:** يتحدث ابن خلدون في مقدمته عن فضل علم التاريخ، فيقول: ((اعلم أن فن التاريخ غزير المذهب، جم الفوائد تشريف الغاية إذ هو يوفقنا على أحوال الماضيين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياساتهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا)).[5]

[1] – الغبريني: المصدر السابق، ص119.

[2] – ابن خلدون: المقدمة، ص521، 522.

[3] – المصدر نفسه، ص522.

[4] – يحي ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات، ط1، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ج1، ص117.

[5] – ابن خلدون: المقدمة، ص21.

ونجد المؤرخ ابن القنفذ الخطيب الذي تناول في كتاباته التاريخية، موضوعات محلية ضمن ما يعرف بالتاريخ المحلي بعيدا عن العموميات، عكس ما انتهجه بعض معاصريه كإبن بلدته ابن باديس أو ابن خلدون، وقد أبدع ابن القنفذ كل الإبداع في هذا الفن[1]، فكان غزير الإنتاج حتى عرف بمؤرخ الدولة الحفصية[2]، لما ألف لها من كتب تخص حضارتنا وتاريخها وعلمائها، وكذلك كما أورد في ثنايا كتاباته التاريخية، تاريخ المشرق من خلال تاريخه للحروب الصليبية، ومن أهم مؤلفاته في ذلك كتاب "الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية" الذي كتبه على شرف السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز (772هـ-796هـ/1370م-1393م).[3]

2) العلوم العقلية:

1.الرياضيات وعلم الفلك والمنطق:

أ- الرياضيات: تعبر الرياضيات أم العلوم التجريبية وقد انكب المسلمون والعرب على دراستها منذ القدم، ويعرفها ابن خلدون بقوله: ((هي معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف إما على التوالي أو بالتضعيف، ومن فروعها علم الحساب، الذي كان يقرأ كتتمة للمعارف الإسلامية والعربية التي يجب إعداد الفكر لمعرفة طرق الإنتاج العقلي فيما يحتاج منها لذلك فكان الحساب ضروريا لمعرفة الفرائض في التركات)).[4]

ولقد كانت حاضرة بجاية سابقة في احتضان العلوم الرياضية وأهمها الحساب في القرن 6هـ/12م، حيث كانت بجاية مقصدا للطلاب وقد ذكر الغبريني بعد أن ترجم لأبرز أعلام

[1] – ابن القنفذ: المصدر السابق، ص41.

[2] – علال بن عمر: المرجع السابق، ص152.

[3] – ابن القنفذ: الفارسية، ص87.

[4] – ابن خلدون: المقدمة، ص60.

ق6هـ/12م أن بجاية: ((بقي بها خلق كثير من أهل المائة السادسة مِن مَن لهم جلال وكمال))[1] ، وألف كذلك ابن القنفذ كتاب "حط النقاب في وجوه أعمال الحساب"، وهو من أهم مؤلفاته في هذا المجال، ومضمونه شرح كتاب تلخيص أعمال الحساب لابن البنا المراكشي (ت721هـ/1321م).[2]

ولقد كانت بجاية الحفصية تستقطب طلاب العلم الأروبيين، وساهمت إلى حد بعيد في تكوين عبقرية ليوناردو البيزي في ميدان الرياضيات، وفيها تعلم هذا الرياضي الشهير الإيطالي الرياضيات والحساب وأخذ البجائيين طرق العد السريع باستخدام الأرقام الهندية.[3]

ب- **علم الفلك:** هو علم ينظر في حركة الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة، ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع الأفلاك لزمن عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق محسوسة بطرق هندسية، وهي علم المعرفة لتركيب الأفلاك وهيئتها وهيئة الأرض.[4]

وكان لعلم الفلك أهمية كبيرة، وقد كان متصلا ومرتبط بمعرفة الأوقات التي تطلبها بعض الفروض الدينية، غير أن العلوم العقلية وإن كانت دراستها بهذه المعاهد مرتبطة بحاجة المعرفة الإسلامية إليها.[5]

وفي العهد الحفصي ازدهر علم الفلك، واستعمل في تعليمه "الإسطرلاب" الذي وقع صنعه محليا وذلك لمعرفة مواقع الكواكب، ومدى ارتفاع الثابتة منها والسيارة، ومقدار

[1] – الغبريني: المصدر السابق، ص85.

[2] – ابن القنفذ: الوفيات، ص343.

[3] – الغبريني: المصدر السابق، ص86.

[4] – إسماعيل سامعي: معالم الحضارة العربية الإسلامية، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص247.

[5] – الطاهر حداد: المرجع السابق، ص37.

الارتفاع بين الأمكنة، وخطوط الطول والعرض للبلدان، وأوقات الصلاة، وعمت البلاد نهضة علمية مباركة في مختلف الميادين وأصبحت أم البلاد المغربية بلا منازع.[1]

ورغم هذا لم تسجل إفريقية في العهد الحفصي أي تقدم جديد في ميدان علم الفلك، وكان نصيبها منه ضئيلا جدا، ضمن الانتاج العام الضعيف خلال القرن7هـ/ 13م عدا العالم الوحيد المتواجد في إفريقية "أحمد بن علي التميمي" المعروف باسم (ابن الكماد) الذي ضبط الأزياج قبل (679هـ-1280م) بقليل بالإعتماد على العالم الأندلسي ابن الزركاحة واضافة إلى الكتابين اللذين ألفهما ابن القنفذ المتعدد الموضوعات منها "تسهيل الطالب في تعديل الكواكب" و"شرح منظومة أبي الحسن علي بن أبي الرجال القيرواني"، وهو كتاب يتناول علم النجوم، وأما علم التنجيم فكان يتمتع بخطوة كبيرة لدى العموم والأمراء، وكان يلتجئ إليها حتى بعض الفقهاء.[2]

ت- **علم المنطق:** وهو عبارة على قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد، في الحدود المعروفة للماهيات والحجج المقيدة للتصديقات، لأن الأصل في الإدراك إنما هو المحسوسات بالحواس الخمسة.[3]

ويعرف بأنه علم يعصم الذهن عن الخطأ في اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة، وفائدته تميز الخطأ من الصواب، فيما يلتمسه الناظر في الموجودات وعوارضها ليقف على تحقيق الحق في الكائنات نفيا وثبوتا بمنهى الفكرة.[4]

[1] – أحمد بن عامر: المرجع السابق، ص67.

[2] – أسماء شنوف وآخرون: المرجع السابق، ص102.

[3] – ابن خلدون: المصدر السابق، ص537.

[4] – المصدر نفسه، ص548.

وأسهم ابن القنفذ الخطيب بمؤلفين، الأول بعنوان "تخليص العمل في شرح الجمل الخوذجي"[1] والثاني "إيضاح المعاني في بيان المباني"[2] وقال عنه ابن القنفذ: "هو سفر شرح لرجز في المنطقة نضمه الفقيه الحافظ أبو عبد الله محمد ابن أبي زيد عبد الرحمان المراكشي الضرر".[3]

وكذلك من علماء بجاية اهتموا بعلم المنطق في القرن 7هـ/13م، أبو محمد عبد الحق ابن ربيع البجائي (ت675هـ/1276م) أبو محمد عبد الله بن يحي الأغماتي (توفي آخر القرن7هـ/13م)، وكذلك من أبرز أساتذة المنطقة في بجاية نجد أبا العباس أحمد ابن خالد (ت660هـ/1261م).[4]

2.الطب والصيدلة

الطب هو نوع من فروع الطبيعيات، وصناعة الطب تنظر في بدن الإنسان، من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة، وبرء المرض بالأدوية والأغذية، ويبين المرض وأسبابه ودوائه.[5]

أما علم الصيدلة فيعرف بأنه علم الأدوية، أو علم يبحث عن التميز بين النباتات ومعرفة منابتها، صينية كانت أو هندية، ومعرفة زمنها صيفية أو خريفية، ومعرفة جيدها من رديئها، ومعرفة خواصها.[6]

[1] – ابن القنفذ: شرف الطالب، ص80.

[2] – المصدر نفسه، ص41.

[3]– المصدر نفسه، ص41.

[4] – الغبريني: المصدر السابق، ص86، 184، 197، 201.

[5] – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص553.

[6] – إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص210.

والصيدلة مرتبطة ارتباطا وثيقا بعلم الطب ومكملة له، لأنه لابد لكل علم من العلوم مواد أولية تسيره.[1]

وارتقى الطب في عهد الدولة الحفصية وحمل لواءه خريجوا المدرسة الصقلية، والأندلسية، مثل الطيب ابن أندراس (ت674هـ/1275م) وهو محمد بن أحمد بن محمد الأموي، المعروف بابن أندراس أبو القاسم أبو يعقوب المرسي الأندلسي نزيل تونس الذي كان متقدما في علم الطب.[2]

وأقام ببجاية في حدود سنة (660هـ/1262م) ودرس بها أرجوزة ابن سينا في الطب وفي مدة إقامته بها تولى تطبيب الولاة مع بعض خواص الأطباء.[3]

ولقد شهدت قسنطينة في القرن 8هـ/14م وثبَة علمية على يد نخبة من العلماء وفي مقدمتهم حسن ابن علي ابن القنفذ – والد ابن القنفذ الخطيب– (750هـ/1349م) الذي ألف كتابا في مجال الطب[4] سماه "المسنون في أحكام الطاعون" ذكر فيه الوباء وأحكامه الشرعية الشرعية والأحاديث الواردة فيه والكتب المتعلقة به، وكان سبب ذلك اختلاف الطلبة في الفرار من مرض الوباء،[5] ونذكر ابن القنفذ الخطيب (ت810هـ/1407م) في نفس المجال بتأليف آخر في الطب سماه "أنس الحبيب عند عجز الطبيب".[6]

[1] – عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص136.

[2] – أحمد بن عامر: المرجع السابق، ص67.

[3] – أحمد بن عامر: المرجع السابق، ص67.

[4] – علال بن عمر: المرجع السابق، ص162.

[5] – المرجع نفسه، ص163.

[6]– ابن القنفذ: شرف الطالب، ص45.

ولقد عرفت حاضرة بجاية في القرن السابع هجري/13م الطب والصيدلة، حيث يذكر الغبريني أن الأبحاث النظرية والاستدلالات الجليلة،[1] ومن علماء البجائيين أو الوافدين عليها والذين اشتغلوا بمهنة الطب عباس أحمد بن خالد المالقي (ت660هـ/1261م)، الذي كان له اهتمام كبير بعلم الطب، حيث كان له مجلس للتدريس بمنزله ببجاية،[2] وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان الشاطبي (ت691هـ/1291م).[3]

[1] – الغبريني: المصدر السابق، ص101.

[2] – المصدر نفسه، ص100.

[3] – المصدر نفسه، ص126.

الخاتمة

وفي الأخير نستنتج من خلال دراستنا لموضوع الحياة الثقافية في المغرب الأوسط خلال العهد الحفصي، عدة نتائج نذكر منها:

– لقد استمد المغرب الأوسط ازدهارا كبيرا في العديد من المجالات، نخص بالذكر المجال الثقافي، وذلك من خلال الحركة العلمية التي ساعد في تطورها العديد من العوامل، منها: الاهتمام الكبير الذي سلطه السلاطين على العلم، وتشجيعهم ورعايتهم لرجال الفكر والمعرفة، كما أدت الحركة الصوفية إلى تطور الحركة العلمية خاصة في بجاية وقسنطينة وبونة.

– قام العديد من العلماء برحلات علمية إلى المشرق والأندلس وتونس، والتي أدت بدورها الاستطلاعي للمعرفة العلمية والفكرية.

– اعتناء الحفصيون بالمغرب الأوسط وذلك ببناء وترميم العديد من المؤسسات التعليمية، والمدارس والزوايا والكتاتيب والمكتبات، التي دفعت تيار الثقافة من خلال تزويد العلماء والطلبة بكتب العلم والمعرفة، كما انتشرت حوانيت الوراقين التي فتحت لأغراض تجارية، تحولت فيما بعد إلى مكان للحوار العلمي والمعرفي، وهذه الأخيرة لم تعد هي الوسيلة الوحيدة لإقتناء الكتب بل تعددت كذلك إلى نسخ الكتب والإستنساخ.

– أما عن التعليم الذي ساهم بدوره في تطوير الحركة العلمية بشكل كبير، وذلك يعود إلى كثرة أماكن التعليم وأنواعه المختلفة (داخلي وخارجي) وتشجيع السلاطين والعلماء على التعليم وخاصة في المغرب الأوسط الشرقي خلال هذا العصر.

– كما عرف المغرب الأوسط أيضا في القرن7هـ/13م تعليم المرأة، حيث ظهر العديد من النساء المثقفات اللواتي كان لهن دورا بارزا في النهوض بالحركة العلمية والفكرية.

– ولقد كانت اسهامات العلماء وجهودهم الفعالة في مختلف العلوم سواء إن كانت عقلية أو نقلية، فازدهرت العلوم الدينية من تفسير وعلوم الحديث والفقه ونالت النصيب الأوفر والتدريس، وبرع علماء المغرب الأوسط وأدبائه خاصة علم النحو الذي توسعوا في

دراسته، وكانت مساهمتهم بارزة وفعالة في الإنتاج الأدبي، نشرا وشعرا، في مختلف أغراضه، المدح النبوي والوصف والشعر الصوفي.

– رغم أن جهود علماء المغرب الأوسط إنصبت بشكل أكبر في العلوم الدينية إلا أن هذا لا يلغي اسهاماتهم في العلوم الاجتماعية والعلوم العقلية، كالتاريخ والمنطق، والطب والصيدلة، والفلك، وكان لهم تأثير كبير في الحركة العلمية والأدبية، والفكرية، والثقافية.

الملاحق

الملحق رقم: 01[1]

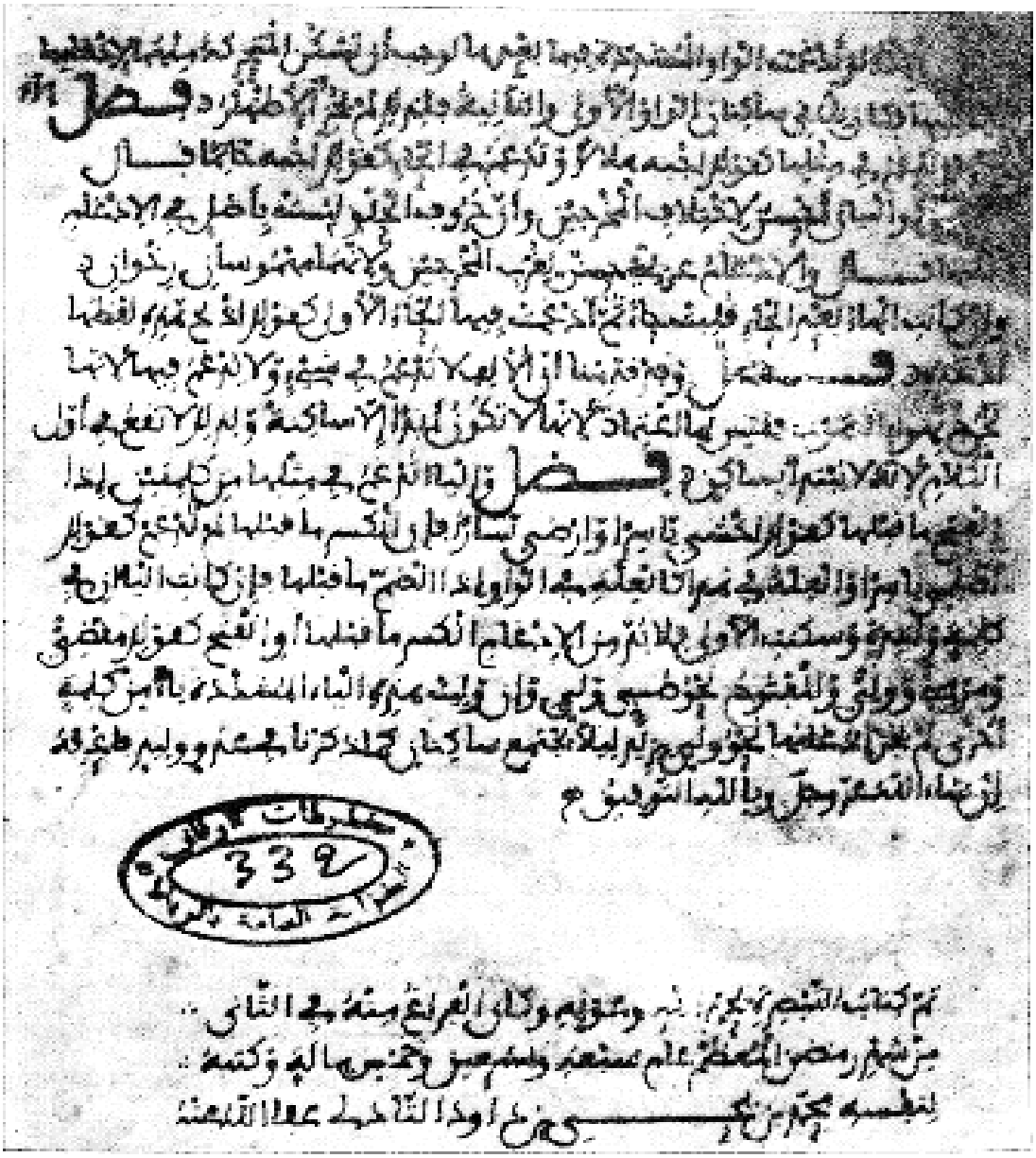

نموذج من نوادر الخط الأندلسي المغربي في الصفحة الأخيرة من كتاب «البصرة» للصيمري في النحو، في 13/6، الخزانة العامة بالرباط في 332.

[1] – محمد المنوبي: المرجع السابق، ص46.

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر.

ب- المراجع.

ت- الرسائل الجامعية.

ث- المجلات والدوريات.

أ- **المصادر:**

- **القرآن الكريم برواية ورش.**

1.ابن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح: لجنة من كتابة الدولة للشؤون والثقافة والأخبار، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976م.

2.ابن الزبير أبو جعفر أحمد: صلة الصلة، تح: ليفي بروفنسال، د ط، المطبعة الإقتصادية، الرباط، المغرب، 1938م.

3.ابن الشماع أبو عبد الله محمد بن أحمد: الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمد العمودي، الدار العربية للكتاب، 1984م.

4.ابن القنفذ أبو العباس أحمد بن حسين: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تق وتح: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م.

5.ابن القنفذ أبو العباس أحمد بن حسين: الوفيات، تح: عادل نويهض، ط3، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1980م.

6. إبن القنفذ أبو العباس أحمد بن حسين: أنس الفقير وعز الحقير، تح: محمد الفاسي وأدولف فور، مطبعة أكدال، الرباط، 1965م.

7. ابن قنفذ أبو العباس أحمد بن حسين: شرف الطالب في أسنى المطالب، تح: عبد العزيز صغير دخان، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 2003م.

8. ابن خلدون أبو زكريا يحي: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تق، تح، تع، عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980م.

9.ابن خلدون عبد الرحمان: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006م، ج6.

10. ابن خلدون عبد الرحمان: المقدمة: تح: أبي عبد الرحمان بن سعد، الدار الذهبية، القاهرة، مصر، 2006م.

11. ابن خلدون عبد الرحمان: تاريخ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: سهيل زكار، دار الفكر، 2001م، ج6.

12. ابن خلدون عبد الرحمان: تعريفات بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، تح: محمد بن تاويت الطنجي، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م.

13. ابن خلدون يحي: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات، ط1، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ج1.

14. بدر الدين القرافي: توشيح الديباج وحلبة الابتهاج، تح وتق: أبو أحمد الشتيوي، ط1، دار الغرب، الإسلامي من بيروت، لبنان، 1983م.

15. البكري أبو عبد العزيز بن محمد: المغرب في ذكر إفريقية والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك، مكتبة المثنى ببغداد.

16. بن مخلوف محمد: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1350.

17. التنمكتي أحمد بابا: نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ج1، 1989م.

18. الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1985م .

19. الحموي شهاب الدين ابن عبد الله ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، مج2، دار صادرة، بيروت.

20. الزركشي أبو عبد الله محمد: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح وتع: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس.

21. السخاوي (شمس الدين بن محمد ابن عبد الرحمان ت904هـ/1498م): الضوء اللامع لأهل قرن التاسع، مكتبة القدس، القاهرة، 1934م، ج3.

22. العبدري محمد البلنسي: الرحلة المغربية، تح: أحمد بن جدو، دار الكتاب، الجزائر

23. الغبريني أبو العباس أحمد بن عبد الله: عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية، ط2، دار الآفاق، بيروت، 1971م.

24. الغزالي أبو حامد بن محمد: إحياء علوم الدين، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ج2.

25. الفكون عبد الكريم: منشور الهداية في كشف حال من أدنى العلم والولاية، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1987م.

26. القلقشندي: صبح الأعشى، دار الكتب المصرية، مصر، 1962م، ج5.

27. محمد الأندلسي محمد بن، الوزير السراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تق، تح: محمد الجيب الهيلة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج1.

28. المراكشي عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: أحمد بدر، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1978م.

29. الوازن الحسن الفاسي : وصف إفريقية، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ج2.

ب- المراجع:

1.ابن عاشور محمد الفاضل: ومضات فكر، الدار المغربية للكتاب، تونس، 1982م.

2.بن الذيب عيسى: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، د ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م.

3.بن عامر أحمد: الدولة الحفصية صفحات خالدة من تاريخنا المجيد، الكتب الشرقية، تونس.

4.بورويبة رشيد: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م.

5.بوعزيز يحي: أعلام الفكر والثقافة المحروسة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، 1995م، ج1.

6.بوشامة كمال: الجزائر أرض عقيدة وثقافة، تر: محمد المعراجي، دار هومة، الجزائر، 2007م.

7.بونار رابح: المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط3، دار الهدى، الجزائر.

8.حداد الطاهر: التعليم الإسلامي وحركات الإصلاح في جامع الزيتونة، تق، وتح: محمد أنور بوسنينة، الدار التونسية، تونس، 1981م.

9.حساني مختار: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ط1، دار الحكمة، ج3.

10. حساني مختار: الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، دار الهدى، 2011م، ج1.

11. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي الديني، الثقافي الاجتماعي، دار الجبل، مكتبة النهضة المصرية، لبنان، القاهرة، 2009م، ج4.

12. الحوالة يوسف بن أحمد: الحياة العلمية في إفريقية منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري (90-450هـ)، ط1، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2000م، ج1.

13. الخطيب محمد عجاج: الوجيز في علوم الحديث ونصوصه، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1889م.

14. خلفات مفتاح: قبيلة زواوة بالمغرب الأسط ما بين القرنين (6 هـ -9هـ) (12-15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري، الأمل، تلمسان، 2011م.

15. سالم عبد العزيز: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2008م، ص791.

16. سامعي إسماعيل: معالم الحضارة العربية الإسلامية، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.

17. سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ج1.

18. شغيب محمد المهدي بن علي: أم الحواضر في الماضي والحاضر (تاريخ مدينة قسنطينة)، وطبعة البعث، الجزائر، 1980م.

19. عبد العزيز محمد عادل: الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية، دار الغريب، القاهرة، 2006م.

20. العيدروس محمد حسن: المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الحديث، المغرب، 2009م.

21. فويال سعاد: المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة، 2010م.

22. فيلالي عبد العزيز: محمد الهادي لعروق مدينة قسنطينة (دراسة التطور التاريخي والسياسي)، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1984م.

23. فيلالي عبد العزيز: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط (دراسة سياسية عمرانية ثقافية)، دار البعث، قسنطينة، 2002م.

24. لعرج عبد العزيز: مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية، المركز الوطني للدراسات، 2007م.

25. محاسنة محمد محسين: أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات، ط1، 2000م، 2001م.

26. المطوي محمد العروسي: السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي،، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986م.

27. المنوفي محمد: تاريخ الوراقة المغربية، ط1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1991م.

28. نسيب محمد: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر.

29. الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيزي من القرن 10هـ إلى القرن 12م، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، دار العرب الإسلامي، لبنان، 1992م، ج2.

- **المصادر والمراجع الأجنبية:**

1. Atallah Dhina: Les etats de la cident musulmane aux XIII et XV, siècles office de publication universitaire, Alger, 1984.

2. Mercier: Gorpus des instruction "Arabes et turques d'Algérie", Départenent de constantine, T.2.

- **المراجع المعربة:**

1.برونشفيك روبار: تاريخ إفريقية في العصر الحفصي من القرن13م إلى نهاية القرن15م، تح: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ج1، ج2.

2.بيل الفرد: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر: عبد الرحمان بدوي، ط2، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1981م.

3.جوليان شارل أندري: تاريخ إفريقية الشمالية من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، تر: محمد غزالي البشير بن سلامة، الدار التونسية، تونس، ج2.

4.الدولاتي عبد العزيز: مدينة تونس في العهد الحفصي، تح: محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتي، ط1، دار سواس للنشر، تونس، 1981م.

5.الشريف محمد الهادي: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تعر: حمد الشاوش ومحمد عجينة، ط1، دار سركس، تونس، 1993م.

6.كرنبال مرمول: إفريقيا، تر: عمد حجي، معجم البلدان، 1984م.

ت- الرسائل الجامعية:

1.أسماء شنوفي وسمية برادعي، عمرية طواهري: الحياة الثقافية في عهد الدولة الحفصية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة الوادي، الوادي، 2011م،2012م.

2.إكسان حسن: جوانب من التعليم في المغرب الوسيط من ق7هـ/13م إلى ق9هـ/15م، رسالة لنيل ديبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1988م.

3.السعيد عقبة: الحياة العلمية والفكرية في بجاية خلال القرن 7هـ/13م، رسالة الماجستير، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2009م.

4.علال بن عمر: الحركة العلمية وبيوتات العلماء في مدينة قسنطينة من القرن 7هـ – 10هـ/13م–16م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، قسنطينة، 2010م/2011م.

ث– المجلات والدوريات:

1.البوعيدلي المهدي: الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية والتركية وآثارها، مجلة الأصالة، العدد19.

2.البوعيدلي المهدي: مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ، مجلة الأصالة، العدد7، مارس/أفريل، 1972م.

3.السحنوني على مقران: هذا الشيخ مجهول أبو زكريا يحي العيدلي، مجلة الدراسات التاريخية، العدد4، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1988م.

4.شبوب عثمان: مسجد سيدي بو مروان العتيق بعنابة، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، الجزائر، العدد 35/34، 1976م، ص192.

5.الطالبي عمار: الحياة العقلية في بجاية، الفلسفة، الكلام التصوف، مجلة الأصالة، العدد19، ص172.

6.العربي إسماعيل: بجاية من خلال النصوص الغربية (مارمول)، وجلة الأصالة، العدد19، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائرية، الجزائر، 1974م.

7.عنان عبد الله: مدرسة بجاية الأندلسية وأثرها في إحياء العلوم بالمغرب الأوسط، مجلة الاصالة، وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية، العدد13، مطبعة البعث، الجزائر، 1973م.

8.محمودي محمد: المساجد والزوايا ببجاية ودورها في حفظ الدين والفكر الصوفي، مجلة حوليات التراث، العدد13، جامعة سعيدة، الجزائر، 2013م.

واجهة فهرس الموضوعات

مقدمة..... أ- هـ.

المدخل التمهيدي: ..... **6- 17.**

لمحة تاريخية عن الدولة الحفصية..... **7- 17.**

1- أصل الحفصيين ونسبهم. ..... 7- 7.

2- قيام الدولة الحفصية. .....7- 10.

3- الإطار الجغرافي.....11- 11.

4- نظام الحكم. .....11- 13.

5- مكانة المغرب الأوسط عند سلاطين بني حفص..... 13- 14.

6- عوامل تطور الحركة العلمية بالمغرب الأوسط..... 14- 17.

الفصل الأول: الحياة الثقافية في دولة بني حفص..... **19 – 27.**

1) اهتمام السلاطين بالحركة الثقافية. ..... 19- 20.

2) الحركة الصوفية. .....21- 23.

3) دور الرحلات في الحركة العلمية. ..... 23- 27.

الرحلات إلى تونس..... 24- 25.

الرحلات إلى المغرب والأندلس..... 25- 26.

الرحلات إلى المشرق..... 27- 27.

الفصل الثاني: مظاهر الحياة الثقافية في المغرب الأوسط..... **28- 51.**

I. المؤسسات التعليمية..... **29- 36.**

المساجد..... 29- 36.
الزوايا..... 36- 41.
المدارس..... 41- 45.
المكتبات..... 45- 46.
الكتاتيب..... 47- 48.
II. الوراقة ونسخ الكتب..... 48- 51.
الوراقة..... 48- 49.
نسخ الكتب..... 49- 51.
الفصل الثالث: التعليم والعلوم في المغرب الأوسط..... 55- 74.
I. التعليم في المغرب الأوسط (بجاية، قسنطينة، بونة)..... 55- 59.
أنواع التعليم..... 55- 56.
مراحل التعليم..... 56- 57.
طرق التعليم..... 57- 58.
مناهج التعليم..... 58.
تعليم المرأة ..... 59.
II. العلوم في المغرب الأوسط (بجاية، قسنطينة، بونة)..... **60- 74.**
العلوم النقلية.....60- 63.
علوم القرآن والتفسير..... 60- 61.
علم الفقه والحديث..... 61-63.

العلوم اللسانية..... 63- 69.

العلوم العقلية..... 69- 74.

الخاتمة..... 75- 77.

الملاحق..... 78- 79.

قائمة المصادر والمرجع..... 80- 88.

فهرس الموضوعات..... 89- 92.

تم بحمد الله